بسم الله الرحمن الرحيم

من صور البحث العلمي التراثي – صناعة الكتاب –

بقلم / رياض بن حسن الخوام – جامعة أم القرىٰ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ سيد المرسلين، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فمن الظواهرِ الواضحةِ في كتب التراث ظاهرةٌ تتمثلُ في أحاديثِ العلماء والأدباء والشعراء حول (صناعة الكتاب) لقد تحدثوا عن عناوينِ الكتب، وعن مضامينها وترتيبها داخلياً وأنواعها، وما يجري عليها من بدايةِ تأليفها إلىٰ الانتهاءِ منها، ولم يفُتْهُمْ الحديثُ عن خطوطِ كتَّابها ونُسَّاخها ورواتها، وعن تصحيحاتِ العلماء عليها، وتراهم عارضين لك ما قيل في مدحها أو ذمها شعراً أو نثراً، ومبينينَ أيضاً ما إذا كانت مسروقةً أم أصيلة، الأمرُ الذي صار بمجمله صورةً ملونةً جميلةً من صور البحث العلمي في تراثنا.

أسأل الله تعالىٰ أن ينفعَ بما نقدمه طلابَ العلم، وأن يجعلَهُ في صحائف أعمالنا جميعاً.

تمهيد

عناية العرب بالكتاب

ما أظن أن هناك أمةً اعتنتْ بالتأليف والتصنيف كالأمة الإسلامية، فشرعُنا الحنيفُ وصفَ هذه الأمةَ بأنها أمةُ (اقرأ) والقراءةُ تستلزمُ المقروءَ المجموعَ في (كتاب)، لقد أشارَ ابنُ النديم إلىٰ ضرورة تأليفِ الكتبِ وتصنيفِهَا بقوله" هذه العلومُ فواردُ فاجعلوا الكتبَ لها نظاما، وهذه الأبياتُ شواردُ فاجعلوا الكتبَ لهازماما" [١] ولا أريد أن أطيلَ في الحديث عن أهمية القراءة وفوائِدِها، فالأمر بين واضح، وأكتفي بما ذكره الشيخ محمد أديب كلكل عن أهميةِ القراءة وفوائِدِها وآثارِها علىٰ الأفراد والمجتمعات بقوله" قالوا: لشعبُ الذي لا يقرأ لا يستطيع أن يعرفَ نفسه، ولا غيرَه، واتهام شعب بأنه لا يقرأ وصمةُ عار علىٰ جبينه، ينبغي أن يتخلصَ منها، والشعوبُ الحية عندما تتخلف في أي مضمار تبحث عن الخلل في القراءة فتحتَ سنِّ القلم يبرزُ مستقبلُ الأممِ، نحن أمةُ (اقرأ) ولُ كلمة نزلتْ في آخر خطابٍ من السماء إلىٰ البشر، ونحن أمةُ (القرآن) تابِ الله الذي اشتُقَّ اسمه من القراءة، إن أكثرَ الناس قراءةً هم أكثرُ الناس كرامةً، ومن يقرأ أكثرَ ينبُلُ أكثرَ، ويرتقي أكثرَ" [٢]

ولقد تفنن الشعراءُ والأدباءُ في تصوير العلاقة بين الكتاب وقارئه، وبيانِ فوائدِ القراءةِ، قال الشيخُ محمد أديب كلكل "إن كان زهرُ البساتينِ ونَورُ الجِنانِ يجلُون الأبصارَ، فإن

---

(١) – الفهرست ، ١٦

(٢) –الأنيس في الوحدة ١/ ٢٥٢

بستانَ الكتبِ يجلو العقلَ ويشحذُ الذهنَ، ويحيي القلبَ، ويقوي القريحةَ، ويُعينُ الطبيعةَ، ويؤنسُ في الوحشة، ولله در المتنبي حيث يقول:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنىٰ سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ[١]

وصور أبو بكر القفال في نظمٍ له، - وضعَه علىٰ خزانةِ مكتبته -، العلاقةَ بينه وبين الكتاب، الذي بدا له أنه كلُّ شيء في حياته، قال:

خليلي كتابي لايَعافُ وصاليا وإنْ قلَّ لي مالٌ وولَّىٰ جَماليا
كتابي عشيقي حين لم يبقَ معشَقٌ أغازلُه لو كان يدري غزاليا
كتابي أبٌ بَرٌّ وأمٌّ شفيقة هو إذ لا أمَّ أولا أبا ليا[٢]

ونقل الأستاذُ محمد أديب كلكل أبياتًا، أظهرَ صاحبُها أهميةَ الكتاب في حياته، بصورةٍ أنيقة أخرىٰ قال:

كتابي فيه بُستاني ورُوحي**سميرُ نفسي والنديمُ

يجالسني وكلُّ الناسِ حَربٌ إذا عَرَتِ الهمومُ
ويُحيي لي تصفحُ صفحتيه كرامَ الناس إن فُقِد الكريمُ
إذا اعوجّت عليّ طريقُ قومي فلي فيه طريقٌ مستقيمُ[٣]

---

(١) -الأنيس في الوحدة ١/ ٣٣

(٢) -من تقويم (روزنامة) مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ١٠رجب ٢٠١٣هـ

(٣) -الأنيس في الوحدة١ / ٢٥٢

وعلىٰ العموم إن المرء ليُدهشُ بعد نظرةٍ سريعةٍ إلىٰ كتب اللغة والطرائف كعيون الأخبار وكتبِ الأمالي والعِقد الفريد، والمستطرف من كثرة ما ذكروه حول الكتابِ ومنزلته عندهم، ومازلنا حتىٰ الآن نتذكرُ ما سجلته الكتبُ المدرسيةُ من قِطَعٍ لأدباءَ كالجاحظ من القدماء وعباس محمود العقاد من المحدثين، تتناولُ الكتابَ ومنافعَه، وفي العصر الحاضر انتشرتِ المنتدياتُ الكثيرةُ التي يتحدثُ فيها العلماءُ عن حبِّ القراءة، حاكين تجارِبَهُم الخاصة التي تبعث الهمةَ العاليةَ عند الطلاب للقراءة و تبين من جانب آخر مدىٰ عنايةِ العلماء بالكتب والقراءة.

أشار أسامةُ بنُ منقذٍ إلىٰ قيمة الكتبِ ومكانتِها عند أصحابها فقال - بعد أن سلبَ الصليبيون كلَّ ما يملك -: إن سلامةَ أولادي، وأبناءِ أصدقائي ونسائنا قد خففتْ من آلام فقدي لكل ممتلكاتي، ولكن خسارتي بكتبي آلمتني آلماً شديداً، لقد كانت أربعةَ ألافِ مجلدٍ، ولكنها كتبٌ قيمة، وغدا فقدُها باعثَ حزني طُوالَ عمري[١].

-وكان القِفطي مُغرَماً باقتناءِ الكتبِ النفيسة، وقُصِدَ بالكتب من كل حدَب وصوبٍ، وكان لا يحبُّ من الدنيا سواها، وذكر عبد اللطيف البغداديُّ عن القاضي محيي الدين البياني العسقلاني المصري، أن بعضَ منْ يخدُمه بالكتبِ أخبره أن عددَ الكتب في مكتبته بلغ مئةَ ألفٍ وأربعةً وعشرين ألفاً، وهذا قبل موته بعشرين سنةً، وكان له أخ له هوَسٌ مُفرِطٌ في تحصيلِ الكتبِ، عنده نحوُ مئتي ألفِ كتاب[٢].

---

(١) الانيس في الوحدة ١/ ٢٤٢

(٢) انظر لذلك توثيق النصوص لموفق عبد القادر ٢٠

- وما ذكرناه هو قليلٌ من كثير، مما لا يكاد يُحصَرُ، فكتبُ التراجمِ مملوءةٌ بأخبار كتب العلماء ومكتباتهم، وحِرْصِهم عليها، وكأن العالمَ لا يكمُل إلا باقتنائه مكتبةً فيها كتبٌ قيمة.

- ولكن ما قصةُ هذا الكتابِ الذي لا ينتهي الحديثُ عنه في كل عصر وأوان؟

لقد صورتْ لنا بعضُ كتبِ التراجم رحلةَ الكتاب من حين كان فكرةً إلىٰ حين انتهائه، ووضحتْ ما كان يحصلُ لمؤلِّفه من مواقفَ، كما أظهرتْ ما حصلَ للكتبِ من الناس في رحلتها التاريخية، حاولتُ رصدَ ذلك في المظاهرِ الآتية:

١- أن بعضَهم كان يستخيرُ اللهَ لتيسيرِ تأليفِ الكتاب الذي ينوي أن ينشئَهُ، قال الكافيجي في مقدمة كتابه" شرحِ قواعد الإعراب" استخرتُ اللهَ تعالىٰ أن أرتبَ له – أي إعراب القواعد لابن هشام – شرحاً يذللُ شوارِدَه" [1]ولا ننسىٰ بيتَ ابنِ مالك:

وأستعينُ اللهَ في ألفيةٍ**مقاصدُ النحو بها مَحْويةْ

ويتصل بهذا أن بعضَهم كان يدعو اللهَ كي ينتفع الناس بكتابه الذي ينوي تأليفه ، ذكر الأنباريُّ في ترجمة أبي إسحاق الجَرْميِّ النحويِّ المتوفىٰ سنة ٢٢٥هـ أنه صنف مختصراً في النحو، قيل: إنه كان كلما صنفَ منه باباً صلىٰ ركعتين بالمقام، ودعا بأن يُنتفعَ به ويُبارَكَ فيه، ثم نقلَ عن أبي علي الفارسي قولَه كاشفاً بركةَ هذا الكتابِ علىٰ قرَّائه: "قلَّ من اشتغلَ بمختصر الجرمي إلا صار له بالنحو صناعةٌ" [2] ومثلُ ذلك أيضاً كتابُ الجمل للزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق المتوفىٰ ٣٤٠هـ فقد

(١) شرح قواعد الإعراب ، ٣١

(٢) – نزهة الألبا١٢٧

صنفه في مكة: "وكان إذا فرغَ من بابٍ طافَ أسبوعـًا، ودعا اللهَ سبحانه تعالىٰ أن يغفرَ له وأن ينفعَ به قارئَهُ" وأضاف مبينـًا بركته بقوله: لم يشتغلْ به أحدٌ إلا انتفعَ به" (١) ومن هذه الأخبار ما نقله الفرَبْري عن البخاري حين كان يؤلفُ الصحيحَ قال البخاري " ما وضعتُ في كتابي الصحيحِ حديثـًا إلا وقد اغتسلتُ قبله وصليت ركعتين (٢) أما المُزَنيُّ الفقيهُ إسماعيلُ بن يحيىٰ المصري المتوفىٰ سنة ٢٦٤هـ، صاحبُ الشافعي، فله كتابٌ مشهورٌ عنوانُه" مختصر المزني" قيل: لىٰ لكل مسألة فيه ركعتين، فصار أصلَ الكتب المصنفة في المذهب، وعلىٰ منواله رتبوا، ولكلامه فسروا وشرحوا (٣) وذكر السيوطي أن محمودَ بنَ مسعودٍ، قطبَ الدين الشيرازي الشافعي العلامة المتوفىٰ سنة ٧١٠هـ، كان إذا صنف كتابـًا صام ولازم السهرَ ومُسودتُه مُبيَّضَةٌ (٤) ، وما فعلوا ذلك كلَّه إلا لينالَ كتابُهم القبولَ عند الله والناسِ.

٢- أنهم اختاروا عناوينَ كتاباتهم بدقة:

أ- فأحيانا راعَوا للعنونةِ حجمَ الكتاب فجعلوا العنوانَ دليلاً عليه، فنرىٰ الجامعَ في النحو للوشاء (٥) والجامعَ في اللغة للكرْماني (٦) وكتاب الحاوي في علوم القرآن للمرزباني (٧) ومن الكتب التي تدل عناوينُها علىٰ حجمها الصغير" المقتضب

(١) - كشف الظنون ١/ ٦٠٣

(٢) - شذرات الذهب / لابن العماد، ٢/ ٢٨٢

(٣) - شذرات الذهب ٢/ ٣٠٣

(٤) - البغية ٢/ ٢٧٤والبدر الطالع ٢/ ٢٩٩

(٥) - الفهرست١٢٦

(٦) - الفهرست ١١٨

(٧) - الفهرست١٢٧

للمبرد ومختصرُ الجرمي في النحو والموجز لابن السراج، والجمل في النحو للزجاجي، والمفصل للزمخشري، والأمثلة كثيرة.

ب- وفي العصر الحاضر رأينا عدداً من عناوين الكتب أراد أصحابها من عناوينها الجمع والإحاطة كجامع دروس العربية للشيخ مصطفىٰ الغلاييني، والنحو الوافي لعباس حسن والمحيط لمحمد الأنطاكي، أما الموجز لسعيد الأفغاني والمختصر للشيخ الجهني والمختصر أيضا للفضلي فعناوينها تدل علىٰ أحجامها

ت- وأحياناً نظروا إلىٰ نوعِ مادةِ الكتاب العلمية فعنونوا كتبَهم بناءً علىٰ ما تضمنه الكتابُ، فهناك المشكل لمكي، والمسائل المشكلة للفارسي، وهناك الخصائص لابن جني والأصول لابن السراج، وأطلقوا علىٰ بعض مؤلفاتهم عنوانَ النوادر كنوادر اللحياني والكسائي وأبي زيد.

ث- وعنون بعضُهم كتُبَه بأسماء البلدان التي ألفَ فيها الكتابَ كالبغداديات، والبصْريات لأبي علي الفارسي.

ج- وظهرتِ الكتبُ التي مال أصحابُها حين أرادوا عنونَتها إلىٰ ما فيه بريق الحداثة في زمنه، فكأن عُجمتَه تُغري لانتشاره – فيما أحسب – فرأينا كتباً عنونها مؤلفوها بكناش أو كناشة، وهي كلمة ساميةُ الأصل تعني الجمعَ، منها كناش الساهر – يوسف الساهر – (١)وكناشُ إسحاق بن حَنين، وكناشُ أهرن القِس، وكناشُ جورجس أبو بختيشوع (٢) والظاهر أن بداياتِ استعمالِ هذه الألفاظِ عناوينَ علىٰ بعض المؤلفات كانت محصورةً بالطب والمنطق ثم امتدتْ إلىٰ ميادينَ أخرىٰ،

---

(١) – الفهرست ٤١٥

(٢) – الفهرست ٤١٢-٤١٥

وتطورتْ دلالتُها فصارتْ تدلُّ علىٰ ذلك النوعِ من الكتبِ التي يكتبُها أصحابُها لأنفسهم يراجعون ما فيها إذا تقدموا في السنِّ وشاخوا، تغنيهم عن الرجوع إلىٰ المطولات، ككناش أبي الفداء في فني النحو والصرف، وفي عصرنا الحاضر هناك كناشُ المحاسني في الطب، وكناشةُ محمد عبد السلام هارون.

و- وقلد بعضُهم بعضاً -أحياناً- في اختيار عناوينِ كتبِهِم مع اختلافِ تخصصاتِهم فرأينا المغني للقاضي عبد الجبار كما رأينا المغني لابن هشام في النحو، ورأينا السيوطي ألف كتاباً في اللغة والنحو عنوانُه الأشباه والنظائر، ورأيناه يجعلُه عنواناً لكتاب صنعه في الفقه الشافعي أيضاً، ولتقي الدين السُّبكي أيضا كتاباً عنوانه الأشباه والنظائر، ولا ننسىٰ عناوينَ الشروح التي قامتْ علىٰ بعض الكتبِ والمتونِ، فلكل منها حديثٌ يضيقُ به المَقامُ.

ي- وأذكركم أخيراً بتلك الظاهرة الواضحة في عنونةِ كثيرٍ من الكتب وهي العناوين المسجوعة فما أكثرَها في تاريخ التأليف العربي. وأعتقد أن عنونةَ الكتاب العربي يلزمُه رسالةً علميةً تتتبَّعُ تطورَ العناوين في تراثنا العربي، وتبينُ الدوافعَ التي كانت وراء اختيارِ هذه العناوينِ، قالوا: الكتابُ يُعرَفُ من عنوانه، واختيار العنوان ليس أمراً سهلاً، وسبحان الله إن نقد عناوين الكتب التراثية – فيما أعلم – قليلة نادرة، لا أعرف أمثلة علىٰ ذلك أما في العصر الحاضر فما أكثرَ النقدَ الذي يوجه إلىٰ عناوين الرسائل الجامعية من قبل المناقشين لأنها لا تحققُ الغايةَ منها، ولا ترتبط بمادة البحث الموزعة علىٰ الفصول والأبواب، لقد باتتْ تُعنىٰ بسبك عباراتٍ ظاهرُها أن الرسالةَ فيها جِدةٌ وابتكارٌ، ، في حين أن في داخلها الخزيَ العلميَّ

والشنارَ، ولا داعي لذكر أمثلة لظاهرةٍ أضحتْ واضحةً في دراساتنا العالية وضوحَ الشمسِ في رابعة النهار، ولا تخلُ منها ديار.

أ- ومما يتصل بعناوين كتبهم أن بعضَهم مدحَ كتابَهُ شعراً وضمنه عنوانَ كتابهِ، من ذلك مدحُ الزمخشري لكتابه الكشافِ، قال:

إن التفاسيرَ في الدنيا بلا عددٍ ... وليس فيها لَعَمري مثلُ كشافي
إن كنتَ تبغي الهُدىٰ فالزمْ قراءتَه ... فالجهلُ كالداء والكشافُ كا لشافي (١)

وأشار عليُّ بنُ سليمانَ النحويُّ الملقب بحيدرة إلىٰ عنوان كتابه كشف المشكل حين مدح الكتاب قال:

صنفتُ للمتأدبين مصنفاً ... سميته بكتابِ كشفِ المشكلِ
سبقَ الأوائلَ مَع تأخرِ عصرهِ ... كم آخِرٍ أزرىٰ بفضلِ الأوّلِ
قيدتُ فيه كلَّ ماقد أرسلوا ... ليس المقيَّدُ كالكلام المرسَلِ (٢)

و- ولم يقتصرِ المدحُ علىٰ العنوان، لقد راح بعضهم يمدح الكتابَ كلَّه، وما أكثرَ الكتبَ التي مُدِحتْ ومُدِحَ مؤلفوها، من ذلك مدحُ الخليل لكتابي الإكمال والجامع اللذين ألفهما عيسىٰ بن عمر الثقفي، قال:

بطلَ النحو جميعاً كلَّه ... غيرَ ما أحدثَ عيسىٰ بنُ عمر
ذاك إكمالٌ وهذا جامعٌ ... فهما للناس شمسٌ وقمرْ (٣)

---

(١) -ا البغية ٢/ ٢٨٠وترتيب العلوم ١٦٥وكشف الظنون ٢/ ١٤٧٦

(٢) - البغية ٢/ ١٦١

(٣) - البغية ٢/ ٢٢٨وانظر المراتب ٤٧

ونظم الشيخُ مجدُ الدين بنُ الظهير الإربلي أبياتـًا في مدح الجُزولية قال:

مقدمـــــةٌ في النحـــــو ذاتُ نتيجـــــةٍ تناهــتْ فأغنــتْ عــن مقدمــة أخــرىٰ
حبانــا بهــا بحــرٌ مــن العلــم زاخــرٌ ولا عجــبَ للبحــر أن يقــذِفَ الــدُّرا
وأوضـــحَها بالشـــرح صـــدرُ زمانـــه ولــم نــرَ شــرحـًا غيــرَه يشــرحُ الصــدرا

ومدح السيوطي كتابَ هدايةُ السبيل في شرح التسهيل لنحْويّ مكة عبد القادر بن عبد المعطي الأنصاري المتوفىٰ بمكة سنة٨٨٠هـ:

مــن يُــرِدْ يســتفدْ شــرحـًا علــىٰ التســهي ل قـــد حـــاز كـــلَّ معنـــىً جليـــلِ
فعليـــه بشـــرحِ قاضـــي القضـــاة الـــ عـــالمِ الحَبْـــر فهـــو هـــادي الســـبيل
وهـــو بـــين الشـــروحِ كالبـــدرِ بـــين الـــ أنجـــم الزُّهـــرِ وهـــو شـــافي الغليـــل(١)

ومدح ابنُ جني كتبَهُ قائلاً:

تناقلُهـــــــا الـــــــرواةُ لهـــــــا علـــــىٰ الأجفـــــان مـــــن حـــــدَب
فيَرتـــــــــعُ في أزاهرهـــــــــا ملـــــــوكُ العُجـــــم والعَـــــرب
فمِـــــنْ مُغْـــــنٍ إلـــــىٰ مُـــــدْنٍ إلـــــىٰ مُـــــثْنٍ إلـــــىٰ طَـــــرِبِ (٢)

ط - ولا بد أن نشيرَ ما دمنا نتحدثُ عن عناوين الكتب إلىٰ ظاهرةِ تعددِ العناوين لكتاب واحد، فيصيرُ للكتابِ أكثرَ من عنوان، يرجعُ ذلك إلىٰ ثلاثة أسباب وقفت عليها:

---

(١) البغية ٢/ ١٠٠

(٢) - الخصائص ، ١/ ٢٥ (المقدمة)

- السبب الأول: عودُ إلىٰ أن المؤلفَ نفسَهُ أطلقَ العنوانين علىٰ مصنّفِه، كما فعلَ المحبي، فكتابه "جنىٰ الجنتين في تمييز نوعي المثنيين" كان عنوانه: "المثنىٰ الذي لا يكاد يتثنىٰ" ومثلُ ذلك صنع أحمدُ بنُ القاسم الشمط الأهنومي اليمني في شرحه للعقد الوسيم سماه" الطلاء الرخيم علىٰ العقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكلٍّ من التقسيم" والعنوان الثاني" طَيِّبُ العَرفِ علىٰ نزهة الطرف في أحكام الجار والمجرور والظرف، وكأنه فعل ذلك حبـًا في السجع، وأنه قادر علىٰ صنه عنوان مسجوع.

- والسبب الثاني يعود إلىٰ تلاميذ المؤلفِ، فكتابُ العِقد الوسيم في أحكام الجار والمجرور والظرف وما لكلٍّ من التقسيم، سماه مؤلفُه بذلك كما قال تلميذه أحمدُ بنُ قاطن وأضاف: قد سماه غيرُه، (نزهة الطرف في الجار والمجرور والظرف)، قال: هي تسمية حسنة، ونصَّ صاحب نشر العرف أن بعضَ الآخذين عن مؤلِّفه سمَّوه بذلك

- أما السبب الثالث: يرجع إلىٰ خطأ ارتكبه مَنْ طبعَ الكتابَ كما حصلَ لكتابِ التبيان في إعراب القرآن للعكبَري، الذي طُبع تحت عنوان "إملاء ما من به الرحمن في وجوه القراءات وإعراب القرآن" قال المحقق علي محمد البجاوي بعد ذلك: لا ندري من أين جاءتْ هذه التسميةُ، فجميعُ النسخِ التي وقفتُ عليها وكلُّ الكتبِ التي ترجمتْ له لم تذكرْ له هذا الاسمَ، وأظن أن بعضَ من طبعوا الكتابَ رأَوا المؤلفَ في آخر الكتاب يقول: ذا آخرُ ما تيسر من إملاء ما من به الرحمن فسمَّوه بهذا الاسم، وقد آثرنا تسميته

التبيان في إعراب القرآن، متابعينَ ما أُثبتَ في نسختين من المخطوطات التي اعتمدنا عليها (١).

٢- إخواني الأكارم هذه هي الصورُ التي تكشف لنا ما يتعلقُ بعنوان الكتاب بعد صلاةِ الاستخارة وعقدِ النية علىٰ التأليف أو بعد الانتهاءِ منه، وصورتْ كتبُ التراجِمِ ما يعتري صنعَ الكتاب ، فمما أخبرونا به أن بعضَ المؤلفين لم يكملْ مصنفَهُ لعارضٍ عرضَ له، من نحو موتٍ أو مرضٍ، أو غيرِ ذلك، فالخليلُ- كما نعلم - لم يُتِمَّ كتابَ العين، قيل: إنّه مات بعد أن أملىٰ النصفَ من حفظهِ، وجمعَ علماءَ عصره وأمرَهم أن يُكملوه علىٰ نمطه (٢)

وقيل: إن الصحاحَ للجوهري كتبه بخط يده، ولم يكنْ مهذّباً منقَّحاً، فكان ما بعد بابِ الضاد مُسْودَّةً من غير تنقيحٍ أو تهذيبٍ، فلما مات الجوهريُّ تولىٰ أبو إسحاق إبراهيمُ بنُ صالح الوراق تلميذُ الجوهري تبييضَه (٣) وذكر السيوطي في مُزهره أن الناشئ وهو تلميذُ سيبويه وضع كتباً في النحو مات قبل أن يُتمَّها، وتؤخذَ عنه، قال المبردُ: و خرج عِلمُ الناشئ إلىٰ الناس لما تقدمَه أحدٌ (٤)، ولمحمد بن القاسم الأنباري كتابُ المشكلِ، ردَّ به علىٰ ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، وتقصىٰ قولَهما، أملاه سنين كثيرةً، بلغَ فيه إلىٰ (طه) لم يُتِمَّه (٥) ومن الكتبِ التي ذكرها ابنُ النديم ولم يُتِمَّها أصحابُها، كتابُ في

---

(١) التبيان ، المقدمة (ح)

(٢) - انظر ما قيل حول كتاب العين مقدمة الصحاح ٧٤

(٣) انظر مقدمة الصحاح ١٤٩ وضعف العطار هذا القيل

(٤) - المزهر ٢/ ٤٠٩

(٥) - نزهة الألباء٢٣٢

لغات القرآن لابن دريد و كتابُ القراءات لابن كامل، وشرحُ الكتاب لمبْرَمان، وأسرارُ النحو وشرحُ المقتضب لابن دُرَستويه، وكتابُ المصادر في القرآن الكريم، لأبي محمد اليزيدي بلغَ فيه إلىٰ سورة الحديد ومات (١)ولابن الخشاب شرحٌ علىٰ لمع ابن جني لم يُتِمَّه (٢)، وشرحَ السهيلي الجملَ ولم يُتِمَّه(٣)ولعمرَ بنِ عثمان الجنزي تفسيرٌ لو تمَّ كما قال السيوطي لم يُوجَدْ مثلُه (٤)وشرعَ عبدُ الله الأندلسي الذي كان يختِمُ كتابَ سيبويه كلَّ خمسةَ عشرَ يوماً، بشرح كتابَ الواضح للزُّبيدي وبلغ فيه نحوَ النصف وتوفي قبل إكماله(٥)وذكر صاحبُ كشف الظنون أن التفتازانيَّ له حاشيةٌ علىٰ الكشاف، مُهرةٌ لم تُركبْ، ودرةٌ لم تُثقبْ، اشتغل به في آخر عمره فأتاه بريدُ الأجل قبل الفراغِ من العمل، وأضاف قائلاً: إنّ العلامة السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني له حاشية أيضاً علىٰ الكشاف وقف فيها في أواسط سورة البقرة (٦) ولم يُكملْ عمرُ بنُ رسلان البُلقيني المتوفىٰ سنة ٨٠٥هـ من مصنفاته إلا القليلَ، لأنه كان يَشرعُ في الشيء فلِسَعةِ علمه يطولُ عليه الأمرُ حتىٰ إنه كتبَ من شرح البخاري نحو عشرين حديثا في مجلدين، وعلىٰ الروضة عدةَ مجلدات تعقبات. (٧)

---

(١) – الفهرست ، ٥٣-٧٥-٨٩-٩٤

(٢) – البغية ٢/ ٢٧

(٣) – البغية ٢/ ٧٧

(٤) – البغية ٢/ ٢١٢

(٥) – البغية ٢/ ٥٥

(٦) – كشف الظنون ٢/ ١٤٧٩ بتصرف

(٧) – الضوء اللامع ٦/ ٨٨

٣- وأحياناً يستعين المؤلفُ بمن يعاونه في صنعِ الكتاب، ذكر ابنُ النديم أن كتابَ معاني القرآن وتفسيرِه ومشكلِه لعلي بن عيسىٰ الجراح الوزيرِ المتوفىٰ سنة ٣٣٤هـ، أعانه عليه أبو الحسن الخزاز النحوي وأبو بكر بن مجاهد، (١) ومثلُ ذلك حصلَ لكتاب العين وكتاب الصحاح فكلٌّ منهما حصل فيه إكمال من العلماء أي عاونوا مؤلفَه علىٰ إتمامه وإكماله، مع فرق بين من يعاونُ المؤلفَ في حياته ورغبته في ذلك كما هو شأنُ كتابِ ابن الجراح، ومن يكملُ العملَ بعد وفاة مؤلفه كما هو شأنُ العين والصحاح في بعض الروايات.(٢)

وفي العصر الحاضر ألف الشيخُ رشيد رضا تفسيراً للقرآن الكريم طُبع في اثني عشر مجلداً ولم يكملْه، وهذا ما حصل لبطرس البستاني فقد مات ولم يكمل موسوعتَه العلميةَ (دائرة المعارف) أنجز منها ستةَ أجزاءٍ ثم أكملَ العملَ ابنُه سليمُ البستاني فأصدر مجلدين هما السابعُ والثامنُ ثم أكملَ المجلدات الثلاثة الباقية أقرباؤه نجيبٌ ونسيبٌ وسليمانُ البستاني، وتوقفَ العملُ فيه، وآخر كلمة وردت في آخر المجلد الحادي عشر هي كلمة عثمانية (٣)، وهذا يفيد أن هذه الموسوعةَ تَشاركَ في صنعها عددٌ من المؤلفين، وهي ظاهرة قديمة، لكن بواعثَها مختلفة. ومن المفيد أن نذكر هنا أن هناك أعمالاً علمية لغوية تُدهشُ، قيل: إنّ جامعةَ شيكاغو احتفلتْ منذ سنوات بانتهائها من إنجاز معجم للغة الآشورية استغرقَ تأليفُه تسعين عاماً، وهو في واحد وعشرين مجلداً، شارك في عمله عددٌ كبيرٌ من اللغويين ولاشك أن كثيراً منهم مات قبل الانتهاء منه.

---

(١) - الفهرست، ٥٢-١٧٦

(٢) - مراتب النحويين٥٧

(٣) - المصادر العربية ، لمحمد ماهر حمادة ١٢٥

- ولا مانع من أن نذكر هنا أيضاً أخبارَ بعض المحدثين من أصحاب الهمم العالية الذين قدموا أعمالاً علمية عظيمة علمت أن عباس حسن استغرق في تأليفه للنحو الوافي سبعة عشر عاماً، وأن الدكتور وهبة الزحيلي استغرق في تأليف موسوعته الفقهية سبعة عشر عاماً. والأمثلة كثيرة. قرأت أن رينيه خوام الفرنسيَّ الجنسية استغرقَ في ترجمة كليلة ودمنة خمسةً وعشرين عاماً،

٤- ويتصل بما سبق أن بعضَهم وافته المنيةُ قبل أن يبدأ بتأليف الكتاب فمات وهو يتمنىٰ أن يكتبَه قال الدكتور محمد أديب الصالح عن الدكتور مصطفىٰ السباعي" كان السباعيُّ – رحمه الله- حريصًا كما علمتُ منه قبل وفاته بيوم واحد علىٰ كتابةِ مؤلفاتٍ ثلاثةٍ هي: لعلماء الأولياء، والعلماء المجاهدون، والعلماء الشهداء" (١) وأخبرني شيخي محمد أديب كلكل قبل وفاته رحمه الله أنه لولا مرضُه لكان عازماً علىٰ إنهاء حياته العلمية بتأليف كتابٍ عن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم نسيتُ عُنوانَه.

٥- ومن الصور التي ذكروها لنا عن صناعة الكتاب أنهم اعتنَوا بترتيب الكتاب وتبويبه، قال ابنُ النديم عن الغريب المصنَّف لأبي عبيد أن عددَ أبوابه علىٰ ما ذُكِرَ ألفُ باب، وأن كتابَ عيونِ الشعر لابن قتيبة يحتوي علىٰ عشرة كتب، وأن عيون الأخبار يحتوي علىٰ عشرة كتب أيضاً وعدّدَها كلَّها، وذكر أيضاَ أن معاني القرآن للفراء في أربعة أجزاء(٢).

---

(١) – من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة ، لعبد الله العقيل ، دار البشير ، الطبعة السابعة ، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م٢/ ١١٦٠

(٢) – الفهرست ١٠٠- ١٠٧- -١١٥- وانظر ترجمة المرزباني لتقف علىٰ المزيد ١٩٠

وهذه الدقةُ التي تحدث عنها أصحابُ التراجم في الترتيب الداخلي للكتاب استتبعَها أن بعضَهم صنعَ فهرساً لمحتوىٰ كتابه، فمن أخبار محمدِ بنِ حبيبِ صاحبِ التاريخ أن له كتابَ القبائل الكبير والأيام جمعه للفتح بن خاقان، قال ابنُ النديم عنه "ورأيت النسخةَ بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في طلْحي نيفٍ وعشرين جزءاً، ولهذه النسخة فهرسٌ"(١) لما يحتوي عليه من القبائلِ والأيام بخط التستُري بن علي الوراق في طلْحي نحو خمسَ عشرةَ ورقة(٢)

وظاهر من الخبرين السابقين أنهم لم يُغفلوا الحديثَ عن عدد ورقِ الكتاب، ونوع الورق الذي يكتبون فيه، لقد ذكر ابنُ النديم أن كتابَ الأغاني للأصفهاني هو في نحو خمسةِ آلاف ورقة (٣)، وقال: إن السُّكريَّ عَمِلَ شعرَ أبي نواس، وتكلمَ علىٰ معانيه وأغراضِه (٤)نحوَ ألفِ ورقةٍ، قال ورأيته بخط الحلواني (٥)، وفي ترجمة الزجاج ذكرَ ابنُ النديم أن له كتاباً يتعلق بالمنطق، وبعد ذكره قصةَ الكتاب قال: رأيناه وهو في طلْحي لطيفٍ (٦)وفي أخبار برزخ العَروضي أن له كتاباً في العَروض قال ابنُ النديم: أيته في جلود. (٧)

---

(١) – في الأصل فهرست

(٢) – الفهرست ١٥٦بتصرف

(٣) – الفهرست ١٦٧

(٤) – في الأصل وغرضه ، ولعل ما أثبتناه أصح لتناسق عناوينه السابقة

(٥) – الفهرست١١٧

(٦) – الفهرست ٩٠ وفي الأصل "لصيف"

(٧) – الفهرست ١٠٧وانظر أول كتاب الفهرست ففيه مباحث كثيرة عن أنواع الخطوط وأنواع الورق وأنواع الأقلام وبريها، وفضائل القلم

وقد أشار الزمخشريُّ إلىٰ فائدةِ تبويبِ الكتب وتجزئتها و تنوعِها حين تحدثَ عن فوائد تجزئة القرآن الكريم إلىٰ السور قال: نها – أي من الفوائد – أن الجنسَ إذا انطوتْ تحته أنواعٌ وأصنافٌ كان أحسنَ وأفخمَ من أن يكون باباً واحداً، ومنها أن القارئ إذا أتمَّ سورةً أو باباً من الكتاب ثم أخذَ في آخرَ كان أنشطَ له وأبعثَ علىٰ التحصيلِ منه لو استمرَّ علىٰ الكتابِ بطوله، ومِثلُه المسافرُ إذا قطع ميلاً أو فرسخاً نفّسَ ذلك عنه ونشطَ للسير (١)

٦- ومن معالم صنعِ الكتابِ عندهم أنهم بعد الانتهاءِ منه كانوا ينصونَ علىٰ ذكر اسم الناسخ ويبينونَ نوعَ الخط الذي نسَخَ به الكتاب، فللقاسم بن معن كتابُ الذباب، بخط السُّكري (٢) ورأىٰ ابنُ النديم أيضاً نوادرَ ابنِ يقظانَ بخط ابن سعدان، و كتاب في شعر أبي نواس كان في ألف ورقة بخط الحلواني (٣)، وذكر ابنُ النديم أيضاً أن كتابَ الحدود للفراء نسخه من خط سلَمةَ بنِ عاصم، وراح يذكر الحدودَ واحداً تلو الآخر (٤) وذكر ابنُ جني أنه نسخ التذكرة لشيخه أبي علي الفارسي. (٥)

٧- وكثيرٌ منهم كان يكتبُ مؤلَّفَهُ بخط يده، والأمثلةُ علىٰ ذلك كثيرةٌ، قال ابنُ النديم رأيت كتابَ النبات للسكري بخط يده ، ومن طريفِ هذا الأمر خبرُ عبدِ الله بنِ إبراهيم الخَبري، الذي له شرحٌ علىٰ الحَماسة، وشرحٌ لديوان البحتُري، كان

---

(١) – مناهل العرفان ، للزرقاني ١/ ٣٤٤

(٢) – الفهرست ١٠٣

(٣) – الفهرست ، ١١٧–١٣٠

(٤) – الفهرست١٠٠

(٥) – الخصائص ١/ ٢٠٧

يكتبُ يوماً وهو مستندٌ، فوضعَ القلمَ من يده، وقال: إن هذا موتٌ مهنّأٌ طيبٌ، ثم مات (١)، وذكر البغداديُّ أن أحمدَ بنَ سهلٍ بنِ عاصم الحُلواني له كتاب" أسماءُ الشعراء المنسوبين إلىٰ أمهاتهم" نقلَ منه وهو بخط مؤلفه (٢)

٨- وأمام هذه الصورةِ ثمة صورةٌ أخرىٰ تظهرُ في أن بعضَ المصنفين كانوا يعتمدونَ علىٰ الورَّاقين، في نسخِ الكتاب وتبييضِه، وجعلِه علىٰ الشكل الأخير الذي يريده مؤلفُه، حتىٰ عُرِفَ بعضُهم بأنه من وراقي المؤلف، ذكر ابنُ النديم أن ابنَ الزجاجي إسماعيلَ بنَ أحمدَ والساسي إبراهيمَ بنَ محمدٍ من ورَّاقي المبرد (٣)، قال ابنُ النديم" خلَّفَ الواقديُّ بعد وفاته سُتَّمائةِ قِمَطْرٍ(٤) كتباً، كلُّ قِمَطْرٍ منها حِمْلُ رجلين، وكان له غلامان مملوكان يكتبانِ الليلَ والنهارَ، (٥)

وكان بعضُ العلماءِ يترددون علىٰ دكاكين الوراقين يقرؤون الكتبَ عندهم وحكاية الجاحظ في ذلك مشهورة، وحكىٰ ابنُ دريد أنه رأىٰ رجلاً في الوراقين بالبصرة يقرأ كتابَ المنطق لابن السكيت، ويقدمُ الكوفيين، فقال للرياشي وكان قاعداً في الوراقين ما قال: قال: نما أخذنا اللغةَ من حَرَشَةِ الضِّباب وأكَلَةِ اليَرابيع، وهؤلاء أخذوا اللغةَ من أهلِ السواد وأكلةِ الكوامخ والشواريز(٦)والظاهر أن هؤلاء الوراقين كانوا يحتفظونَ في

---

(١) – البغية ٢/ ٢٧

(٢) – الخزانة ٦/ ٣٠بتصرف

(٣) – الفهرست ٨٩

(٤) – ما تصان به الكتب يجمع علىٰ قماطر ، وقمطر الشيء جمعه ، المعجم الوجيز ، قمطر

(٥) –الفهرست ١٤٤

(٦) – الفهرست ٨٦والكامخ ما يؤتَدَم به أو المخللات المشهية ، والشواريز جمع شيراز ، والشيراز اللبن الرائب المستخرج ماؤه .انظر القموس المحيط شرز وكمخ

أوراقهم بمادةٍ علميةٍ جمعوها من كتبٍ نسخوها، وأحياناً كانوا -فيما يبدو- يُدخلون ما عندهم في حشو الكتابِ، فيُسيئون إليه، قال ثعلبٌ" إنما وقعَ الغلطُ في كتاب العين لأن الخليلَ رسمَهُ ولم يَحْشُهُ، وقد حشا الكتابَ أيضاً قومٌ علماءُ إلا أنه لم يؤخذْ منهم روايةً، وإنما وُجِدَ بنقلِ الوراقين فاختلّ الكتابُ (١) وأشار الأزهريُّ صاحبُ تهذيب اللغة إلىٰ هؤلاء الوراقين أيضاً بقوله" ولو أنني أودعتُ كتابي هذا ماحوته دفاتري، وقرأته من كتبِ غيري، ووجدتُهُ في الصحف التي كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون لطال كتابي (٢)ومن هذه الأخبار يستفاد أن القومَ كانوا علىٰ دراية بخطرِ الوراقين، وما أشبه هذا الأمر بحال من يكتبون الرسائل العلمية للطلبة الفاشلين، وكل أستاذ ناقش مثلَ هذه الأعمال يعلمُ مدىٰ الفسادِ الذي يقعُ فيه هؤلاء الفسدةُ الخونة، ولا أريد الحديثَ عنهم الآن، فله مقال آخر سنقدمه بعدُ في محاضرة خاصة بإذن الله.

٩- وما أكثرَ المصنفين الذين كانوا يحددون سنةَ الفراغِ من تأليفِ كتبِهم، وينصون علىٰ المكان الذي أنجزوا به الكتابَ ، قال أبو الفداء في نهاية كتابه الكناش في فني النحو والصرف" وكان الفراغُ من (٣)جمعه وتأليفه في العشر الأول من شهر شعبان سنة سبع وعشرين وسبعمائة هجرية نبويةعلىٰ صاحبها أفضل الصلاة والسلام بالمشيرفة من ظاهر حمص الشرقيِّ الشمالي، الحمد لله رب العالمين(٤)، وسجل الفيروز أبادي في نهاية القاموس المحيط أنه انتهىٰ منه في

(١) - المزهر ١/ ٧٨، والنقل من مقدمة الصحاح ٦٤

(٢) - مقدمة الصحاح ، ٨٥

(٣)

(٤) - الكناش ٢/ ٣٦٣

مكىٰ في منزله علىٰ الصفا، وأنجزت الأجرومية أمام الكعبة، (١)وذكرنا من قبلُ أن بعضَهم يدلك علىٰ مكان تأليفه لكتابه من عنوان الكتاب، يبدو ذلك من كثير من عناوين كتب الفارسي.

و بعضهم ينظم الشعر، محدداً فيه وقتَ الانتهاءِ من تأليف كتابه مع مدحهأيضاً، كتب عليٌّ بنُ عراق الخُوارَزمي في نهاية كتابه شماريخ الدرر في تفسير القرآن،

فرغنا من كتابته عشياً وكان اللهُ في عوني وليّا
وقد أدرجته نُكتَاً حِسَاناً ومعنىً يُشبه الرُّطَبَ الجنيَّا(٢)

وبعضُ المؤلفين حرَصَ علىٰ أن يؤرخ انتهاءَ مؤلفاتهِ بشعرٍ يتفقُ مع حساب(الجُمَّل) ففي نهاية كتاب غالية المواعظ للألوسي صاحبِ روح المعاني، نظم ناسخُها الشيخ محمد علي الشهير بآل قفطان النجفي قصيدة في مدحها والثناء علىٰ مؤلفها ذكر في آخر بيت فيها سنةَ الفراغ من من تأليفها قال:

مذ شمَمْنا طيبهَا أرَّختُها

زال وجدي بنسيم الغالية

وكتب تحت الشطر الأول: سنة ١٣٠٠وتحت كلمة زال:٣٨ وتحت كلمة وجدي ٢٣وتحت كلمة بنسيم ١٦٢وتحت كلمة الغالية ١٠٧٧ومراده من كل ذلك أن مجموع ذلك هو ١٣٠٠ وهي سنة الفراغ من تأليفها (٣)

---

(١) – انظر كتابنا بركة مكة علىٰ التأليف اللغوب ضمن كتاب أسماء الكعبة المشرفة في الدرس اللغوي

(٢) – البغية ٢/ ١٧٢

(٣) – انظر مواعظ غالية ٢/ ١٧٨بتصرف

١٠- وبعد أن يَنجُزَ الكتابُ كانت بعضُ الكتبِ تُهدَىٰ إلىٰ أصحابِ الشأن من الملوك والخلفاء والولاة والقضاة، فيُكا ئون المؤلف عليها، لقد ألف الفراءُ معاني القرآن لصاحبه عمرَ بنِ بُكير في أربعة أجزاء (١) وعمر بن بُكير كان صاحبَ الحسن بن سهل، ومن أخبار أبي عبيد القاسم بن سلام أنه كان إذا ألف كتاباً أهداه إلىٰ عبدِ الله بن طاهر، فيَحمِلُ إليه مالاً خطيراً(٢)وألف الجوهريُّ الصحاحَ في نيسابور، لأبي منصور عبدِ الرحيم بن محمد البيشكي من أصحاب أبي عبد الله الحاكم الذي ولِيَ قضاءَ نيسابور سنة ٣٥٩هـ، (٣)

وطلبُ السلاطين والأمراء والولاة والعلماء تأليفَ كتابٍ من عالم ما هي عادةٌ قديمة حصلَ ذلك للزجاج الذي أمره القاسمُ بنُ عبيد الله، بأمرٍ أيضاً من المعتضدِ، بأن يُفسِّرَ كتابَ جامع المنطق، فصنعَه وحملَه الوزيرُ إلىٰ المعتضد فاستحسَنه وأمرَ له بثلاثمائة دينار، وصار للزجاج بهذا السبب منزلةٌ عظيمةٌ، وجعل له رزقاً في الندماء، ورزقاً في الفقهاء، ورزقاً في العلماء ثلاثمائة دينار (٤)، ومن طريف هذه الصورة أن المُطرِّزي ألف كتابَهُ العواملَ لابنه، كي يقوىٰ في النحو.

- ولا يقال هنا إن ما ذكرتَه تحتَ هذا المَعلم يُعدُّ مسوغاً لأولئك الفاسدين الذين يكتبون البحوثَ ويقدمونها لغيرهم هديةً أو لقاءَ أجر مادي، فالفرقُ بين الصورتين بعيد، لأن الأولين كانوا ينصونَ علىٰ إهدائهم الكتاب لغيرهم ويعلنون ذلك

---

(١) – الفهرست ١٠٠

(٢) – الفهرست ١٠٦

(٣) – مقدمة الصحاح ، ١٠٩

(٤) – الفهرست ، ٩٠

صراحة، أما الفاسدون في عصرنا فهم يكتمون ذلك، ولا أحدَ يعلم بصنيعهم فهم يعملون في الظلام وتحت مسميات خبيثة ظاهرها البراءة والمساعدة وباطنها غش للعلم وخيانة لأهله، لأن هذا العملَ الفاسدَ يقدمه صاحبُه لنيل درجة علمية، فقاتلهم الله أنىٰ يؤفكون، أفسدوا الضمائر وخربوا الذمم.

١١- والمهم أنه بعد صدورِ الكتابِ وانتشارِهِ، ينظرُ العلماءُ فيه، ولقد صورتْ لنا كتبُ التراجمِ عدداً من مواقف العلماء بعد ذلك :

أولاً- قد يُعجبُهم الكتابُ فيكتبون حوله الشروحَ والحواشيَ، خدمة له، والأمثلةُ الدالةُ علىٰ ذلك كثيرةٌ، فكتاب الجمل للزجاجي بلغت شروحُه تسعةً وسبعين شرحاً (١) وبلغت الأعمالُ العلميةُ التي قامت علىٰ كشاف الزمخشري أكثرَ من سبعة وأربعين عملاً علمياً من شروح وملخصات وحواش وتخريج لأحاديثه (٢) أما الأجرومية فقد بلغت شروحُها مائةً وستةً وثلاثين شرحاً، ، وبلغ عددُ الكتب التي أعربت ألفاظَها سبعة عشر كتاباً، وبلغ عددُ الحواشي والتعليقات والتقريرات التي خدمتها تسعةَ كتب، وبلغ عددُ منظوماتها خمسةً وعشرين نظماً، ومجموعُ ذلك كلِّه مائةٌ وسبعةٌ وثمانون عملاً علمياً، ناهيك عن ترجمَاتها إلىٰ لغاتٍ أخرىٰ (٣)، وبلغت الأعمالُ الخادمةُ للقاموس المحيط ثلاثةً وأربعين عملاً، فضلاً عن ترجمته إلىٰ لغات أخرىٰ (٤)،

---

(١) - انظر كتاب البسيط لابن أبي الربيع ٧٩(المقدمة)، وبركة مكة المكرمة علىٰ الدرس اللغوي ٢٣

(٢) - كشف الظنون ٢/ ١٤٧٥-١٤٨٤وبركة مكة علىٰ التأليف اللغوي ٢٦

(٣) -شرح الشيخ زروق علىٰ متن الأجرومية ، تحقيق ندىٰ الساعي ٩٨وبركة مكة المكرمة علىٰ الدرس اللغوي ٢٨

(٤) المعجم العربي ، للدكتور حسين نصار ، ٢/ ٦٠١وبركة مكة المكرمة علىٰ الدرس اللغوي ، ٣٧

وبعضُ العلماء شُغِف باختصارِ بعض الكتب المحببة إليه – فيما يبدو- أوتهذيبِها مثال ذلك ما انتهجه بدرُ الدين ابن جماعة فقد اختصر عدةَ تصانيف كما قال عنه ابنُ حجر منها علوم الحديث لابن الصلاح فغيَّرَ ترتيبَه وسماه المنهل الرَّوي، واختصر مبهمات القرآن للسهيلي وزاد فيه أشياء كثيرة، قال ابن حجر: ظنها لخصَها من ذيل ابن عساكر، (١)

ويندرجُ تحت هذا تلك الكتبُ التي ألفَها أصحابُها علىٰ سبيلِ الاستدراكات، علىٰ كتبٍ سابقة، وما أكثرها، كما يندرجُ تحتها الكتبُ التي ألفها أصحابُها لبيان أغلاط كتبٍ سابقة من نحوتصحيفٍ وتحريفٍ وغلطٍ، ككتاب المبرد" الغلط في كتاب سيبويه المعروف (٢) قال عنه ابنُ جني كان أبو العباس تتبعَ به كلامَ سيبويه وسماه مسائل الغلط، فحدثني أبو علي عن أبي بكر أن أبا العباس كان يعتذرُ منه ويقول: ذا شيء كنا رأيناه في أيام الحداثة فأما الآن فلا (٣).

ومن مظاهر إعجابهم بكتاب ما أن بعضَهم قد يهوىٰ كتاباً معيناً، فيصير هذا الكتاب كظِلِّهِ لايفارقه إما لنقده كحال الفراء مع كتاب سيبويه، قال أبو الطيب"، أخبر ثعلبٌ عن سلمةَ قال: مات الفراء وتحت رأسه كتابُ سيبويه، قال الحامض لثعلب: كان لايفارقه لأنه كان يتتبعُ خطأه ولُكنته (٤)

(١) – رفع الإصر عن قضاة مصر ، لابن حجر العسقلاني ، ٤٣٢

(٢) – الخصائص ١/ ٢٠٦

(٣) – الخصائص ١/ ٢٠٦

(٤) – المراتب ١٣٩

وإما حبـًا وإعجابـًا به، فيقرؤه كثيراً ويدرّسه، قيل: إنّ ابنَ حنكاس وهو أبو بكر بنِ عيسىٰ بنِ عثمانَ الأشعريُّ الفقيه الحنفي المشهور، أتىٰ علىٰ كتاب الخلاصة نحو ثلاثمائة مرةٍ، وانتفع به خلقٌ كثير (١) وقد نقل ابنُ جني عن شيخه الفارسي أنه كان يصلي بنوادر أبي زيد إعظامـًا لها، وقال له وقتَ القراءة عليه: يس فيها حرفٌ إلا وتحته لأبي زيد غرضٌ ما، وأضاف ابنُ جني قائلاً: و كذلك لأنها محشوة بالنُّكتِ(٢) وكان عبدُ الله بنُ حمود الزُّبيديُّ الأندلسي مغرمـًا (٣)بكتب الجاحظ وكان يقول: رضيتُ في الجنة بكتبِ الجاحظ عن نعيمها (٤) حبـًا بها.

وفي عصرنا الحاضر الكثير من الأمثلةِ المفيدةِ أن بعضَ العلماء يقرؤون بعضَ الكتب مرات كثيرة، لأهميتها عندهم وحبهِم لها، كنت أرىٰ ذلك في مكتبة شيخنا الفاضل العلامة محمد أديب كلكل، ففي مكتبته العامرة، ترىٰ بعضَ الكتب قد كتب الشيخُ في ورقتها الأولىٰ عددَ مرات قراءاته للكتاب مع تحديد السنة التي تمتْ فيها القراءة..

ثانيا- وأمام الصورة السابقةِ التي قدمناها لهم بعد صدورِ الكتابِ المتضمنةِ قبولَهم للكتاب ورضاهم عنه ، نرىٰ صورةً أخرىٰ لهم تبدو في أنهم إذا وجدوا صاحبَ الكتاب قد نقلَه عن غيره فضحوه، ونشروا أمرَه، ففي أخبار أبي بكر الصولي أن كتابَهُ الأوراق في أخبار الخلفاء والشعراء لم يتمَّه، والذي خرجَ منه قال عنه ابنُ النديم" وهذا الكتابُ عوَّلَ عند تأليفه علىٰ كتاب المُريدي في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحله، وقد رأيتُ

---

(١) – جامع الكرامات ١/ ٤٣٥

(٢) – خزانة الأدب ، ٦/ ٤٩٢

(٣) – في الأصل مغرىٰ

(٤) – البغية ، ٢/ ٣٨

دستورَ الرجل في خزانةِ الصولي فافتُضِحَ به (١) وظاهرةُ سرقةِ الكتب واضحةٌ جداً، والذي يهمنا الآن منها هو أن العلماءَ -كما قلنا - لم يتركوا الكتابَ المؤلّفَ من غير نظرٍ فيه، وتفتيشٍ عن مصادره ومراجعِه ونقدِه والتعليقِ عليه ، ومن الأمثلة الدالةِ على نقدِ الكتابِ ببيانِ أصولهِ ومصادره ما ذكره أبو الطيب حول الاشك في كتابِ الغريبِ المُصنّفِ لأبي عبيد القاسم بن سلام قال أبو الطيب: أما كتابُه المترجَمُ بالغريب المصنفِ فإنه اعتمدَ فيه على كتابٍ عمِلَه رجلٌ من بني هاشم جمعه لنفسه، فأخذ كتبَ الأصمعيِّ فبوّبَ ما فيها وأضافَ إليه شيئاً من علمِ أبي زيد، وورواياتٍ عن الكوفيين، وأما كتابُهُ في غريب الحديث فإنه اعتمدَ فيه على كتاب أبي عبيدة مَعْمَرِ بنِ المثنى في غريب الحديث، وكذلك كتابهُ في غريب القرآن منتَزَعٌ من كتاب أبي عبيدة" (٢)

ومن أمثلة نقدِالمادة العلمية عندنا كتابُ إصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمُحال والتصحيف" للمُفضَّلِ بنِ سلمةَ، استدركَ فيه على كتاب العين للخليل وخطأه، قال ابنُ النديم " وقد قرأ أبو علي بنُ مقلةَ وأبو حفص هذا الكتابَ على ابن دريد فكان يقول: دق أبو طالب في شيء إذا مرَّ به، وكذبَ أبو طالب في شيء آخر(٣)، وذكر ابنُ حجر أن بدرَ الدين ابن جماعة أخذ كتابَ ناصر الدين بن المنير فاختصره اختصارا بالغاً ولم ينسبْه إليه، لكنه هو بعينه لم يزدْ فيه سوى شُبَهٍ يسيرة (٤) وقد صور السيوطيُّ حرصَ العلماء على الأمانة العلمية حين مدح بهاء الدين النحاس لمَّا رأى منه الأمانة في نقل

(١) - الفهرست ٢١٥

(٢) - المراتب ١٤٧

(٣) - الفهرست ٩٢والمراتب ١٥٤

(٤) - رفع الإصر عن قضاة مصر ٤٣٢

نص عن ابن جني بخط ابنه عالي، وهذا النص لا يعرفه أحد قال السيوطي " وانظرْ إلىٰ دين الشيخ بهاء الدين وأمانتهِ، كيف وجد فائدةً بخط ولد ابن جني نقلها عن أبيه، ولم تُسطَّرْ في كتاب، فلم يستجِزْ ذكرَها من غيرِ عزوٍ إليه، لا كالسارقِ – ومراده هنا السخاوي محمد بن عبد الرحمن المتوفىٰ في مصر سنة ٩٠٢هـ – الذي أغارَ علىٰ تصانيفي التي أقمتُ في تتبعها سنينَ ، وهي كتابُ المعجزات الكبير، وكتابُ الخصائص الصغرىٰ وغيرُ ذلك فسرقهَا وضمنَها وغيرَها ما سرَقه من كتبِ الخضيري والسخاوي في مجموع وادعاه لنفسه، ولم يعزُ إلىٰ كتبي وكتب الخضيري والسخاوي – مراده علم الدين علي بن محمد المتوفىٰ سنة ٦٤٣ هـ ودفن بدمشق– ، شيئاً مما نقله عنها، وليس هذا من أداء الأمانةِ في العلم (١)

٩– وفي كثير من الأحيانِ كانوا يشيرونَ إلىٰ رواياتِ الكتابِ الكثيرةِ المتعددة، فالكتابُ إذا رواه الثقاتُ الكُثُرُ، يكتسبُ القبولَ والمنزلةَ الخاصة، ففي ترجمة القاسمِ بن معن أنه ألفَ كتاباً عنوانُه النوادرُ رواه عنه جماعةٌ منهم الطوسي وثعلبٌ وغيرُهما، وقيل: إنّه اثنتا عشرةَ روايةً، وقيل: سعةٌ (٢)، وقيل: إنّ نوادرَ الأعراب للكسائي رواها عنه اثنا عشر إنساناً(٣) وكانوا أيضاً ينصونَ علىٰ الكتاب الذي لم يُقرأ علىٰ طلبة العلم، قال أبو الطيب: إنّ كتابَ الجيم لأبي

(١) – الأشباه والنظائر ١/ ٥٥٧بتصرف يسير

(٢) – الفهرست ١٠٣

(٣) – الفهرست ١٣٠

عمرو الشيباني لا روايةَ له، لأن أبا عمرو بخِلَ به علىٰ الناس فلم يقرأه عليه أحدٌ (١).

١٠- وربما أشاروا أيضاً إلىٰ عدد نُسَخِه، قال ابنُ النديم عن نوادر الشيباني: إنّ له ثلاثَ نُسخٍ كبرىٰ وصغرىٰ ووسطىٰ، وأن لنوادرِ اللحياني ثلاثَ نسخٍ أيضاً (٢)ومن الطريف أن بعضَهم ينسىٰ ما كتبه في كتابه، حكىٰ أبو الفضل الرياشي قال: ائتُ أبا زيد لأقرأ عليه كتابَهُ في النبات فقال: اتقرأه عليّ فإني قد أُنسيتُه (٣)، وذكر الشوكاني في ترجمةِ محمدٍ بنِ سليمانَ الروميِّ أن تصانيفَهُ زادتْ علىٰ المائة وأنه سئل عن أسماءِ مصنفاته فقال: هي كثيرة نسيتُها، فلا أعرفُ الآن أسماءَها (٤)، والظاهر أن من له مؤلفاتٍ كثيرةً قد ينسىٰ مضامينَها الدقيقة، كما قد ينسىٰ أسماءَها لاسيما إذا بلغَ من الكِبَرِ عتياً.

١١- ربما ألفَ بعضُهم كتاباً ثم بدا له نقضُه من ذلك أن أبا علي الحسنَ بنَ عبدِ الله الأصفهانيَّ له كتابٌ عِلل النحو، وكتاب آخر عنوانه نقضُ علل النحو (٥)، فالظاهر أنه بعد تأليفه الكتابَ الأولَ نقضَهُ بالثاني، ولعلهما كتابٌ واحدٌ. وفي المسألة تحريفٌ.

---

(١) - المراتب ، ١٤٥

(٢) - الفهرست ١٣٠

(٣) - الخصائص ٣/ ٣١٢والمزهر ٢/ ٤١٦

(٤) - البدر الطالع ٢/ ١٧١

(٥) - الفهرست ١٢٠

- ويتصلُ بهذا أن بعضَهم كان مُولَعاً بتأليف كتابٍ يخالفُ فيه كتاباً اشتُهر بين الناس، قال شُميم الحلِّي النحوي اللغوي: ا رأيت الناسَ مجمعين علىٰ استحسان كتابٍ إلا استعملتُ فكري في إنشاءِ ما أدحَضُه (١).

ويبدو أن المبردَ أراد ذلك حين نقدَ كتابَ سيبويه المشهور، بكتابٍ سماه مسائلَ الغلط، ثم اعتذرَ بعد ذلك عنه كما قال ابنُ جني قائلاً بأنه صنعه أيامَ الحداثةِ أما الآن كما قال المبرد فلا (٢)، يعني أنه تراجعَ عن النقد القديم وجرىٰ مع جمهور النحاة، ولا ننسىٰ في هذا المقام ما قام به الإمامُ الشافعيُّ، قالوا: ملىٰ في مصرَ كتبا تخالفُ ما كان قد أملاه في العراق، لأنه رحمه الله تجددَ له من العلمِ بالنصوص ووجوهِ دلالتها ما لم يكن عنده من قبلُ، وضبطَ من الأصول والقواعد ولاقىٰ من العلماء ممن استفاد منهم ما حملَه علىٰ تغييرِ قولِه في كثير من المسائل (٣) وقد وجدتُ في عصرنا الحاضر أن الشاعرَ الأمريكي والت ويتمان نشرَ كتاباً عنوانه "أوراق العشب" فخاف من النقاد، فنشرَ مراجعةً أدبيةً لهذا الكتاب تحت اسم مجهول بعنوان" والت ويتمان وقصائدُه" وكان ذلك سنة ١٨٥٥م(٤)، والظاهر أنه سلِم بعد ذلك من التعليقات والردود، ولا أعرف في تراثنا من فعل ذلك.

---

(١) - البغية ٢/ ١٥١

(٢) - الخصائص ، ١/ ٢٠٦

(٣) - موقع إسلام ويب

(٤) - اقافلة ، العدد(٤)المجلد ٦٤-٢٠١٥م ، عنوان المقال "مالذي يفعله الكتاب للدفاع عن نتاجهم الأدبي ، للكاتب رجا الثبيتي

١٢- إخواني أقدم لكم بعض الصورِ الطريفةِ الجميلةِ التي ذكرتها كتبُ التراجِمِ حول بعض المؤلفين من النحويين واللغويين نتخفف بها من ثقل الحديث عن الكتب وصناعتها فمما ذكروه من أخبار ابنِ الخشاب النحويِّ المشهور، أنه كان يتعمم بالعِمامة فتبقىٰ مدةً علىٰ حالها حتىٰ تسودَّ مما يلي رأسه، وتتقطَّعَ من الوسخ، وتَرمي عليها الطيورُ ذَرَقَها، ، ولم يتزوجْ ولا تسرّىٰ، وكان إذا حضرَ سوقَ الكتبِ وأراد شراءَ كتاب غافلَ الناسَ وقطعَ منه ورقةً، وقال: إنّه مقطوعٌ ليأخذَهُ بثمن بخس، وإذا استعارَ من أحدِ كتاباً وطالبه به قال: خل بين الكتب فلا أقدرُ عليه (١)

وبعضُهم بيعتْ كتبُه بعد موته، لقد قُوّمتْ كتبُ أبي حاتم السجستاني يوم مات بأربعةَ عشرَ ألفِ دينار، واشتراها ابنُ السكيت (٢) وذكر ابنُ النديم أن عمرَ بنَ شبَّةَ صارت كتبُه بعد موته إلىٰ أبي الحسن علي بن يحيىٰ ابتاعَها من أبي طاهر بن عمر بن شبة (٣) وأن كتبَ جعفرِ بنِ أحمدَ المِروزي، حُمِلتْ إلىٰ بغداد وبيعت في طاق الحرَّاني سنة أربع وسبعين ومائتين ومن كتبِه المسالكُ والممالك، وكتابُ الآداب الكبير، وكتابُ الآداب الصغير، وكتابُ البلاغة والخطابة (٤)

---

(١) – البغية ٢/ ٢٨

(٢) – شذرات الذهب ٢/ ٢٦٢

(٣) – الفهرست ١٦٤

(٤) – الفهرست ٢١٥

وبعضُهم سُرِقتْ كتبُه، منهم حبشيُّ بنُ محمد أبو الغنائم الضريرُ النحويُّ، كان من تلاميذ ابنِ الشجري وبلغ في النحو الغايةَ، ولم يكن يهتدي إلىٰ الطريق بغير قائد كما يهتدي العُميانُ حتىٰ سُرقتْ كتبُه، سرقها الذي يأتيه في كلِّ ليلةٍ وهو قريبٌ من منزله (١)

١٣- وبعضهم أحرقَ كتبَهُ، ذكر ابنُ النديم أن سفيانَ الثوريَّ أوصىٰ إلىٰ عمارِ بنِ سيفٍ في كتبه فمحاها وأحرقها (٢) ومن أخبار أبي عمرو بن العلاء أن دفاترَه كانت ملءَ بيتهِ إلىٰ السقفِ ثم تنسّكَ، فأحرقهَا (٣) ومثل ذلك فعل أبو حيان التوحيديُّ صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة، فقد أحرق كتبَهُ في آخر عمره لقلةِ جدواها – كما زعم –، وضنًا بها علىٰ من لا يعرفُ مِقدارَها، فعذله القاضي أبو سهل علىٰ ذلك فكتبَ إليه معتذراً(٤).

وقيل: إنّ الحسن البصري أحرق كتبه أيضًا (٥)، و الظاهر أن الورع كان من أهم الدوافع عند الذين أحرقوا كتبهم، فكأنهم خافوا من أن تكون عليهم وبالاً بدلاً من أن تكون صدقة جارية لهم بعد وفاتهم، فمن ورع أبي عمر وأنه كان إذا دخل رمضان لا ينشد بيتًا حتىٰ ينقضي (٦) وقد برزت هذه الظاهرة عند المتصوفة بصورة واضحة مفيدة أن إتلاف كتبهم بأية وسيلة كان ورعًا، حكي عن الجنيد أنه لما حضرته الوفاة أوصىٰ أن يدفن معه جميع ما هو منسوب إليه من علمه، فقيل له: لِمَ ذلك؟ فقال: حببت أن لا يراني الله تعالىٰ

---

(١) – البغية ١/ ٤٧٣ (تحقيق علي عمر)

(٢) – الفهرست ٣١٥

(٣) – شذرات الذهب ١/ ٣٠٧والبغية ٢/ ٢٢٢

(٤) – البغية ٢/ ١٨٣

(٥) – فضائل مكة ، ٧ (المقدمة)

(٦) – شذرات الذهب ١/ ٣٠٧

وقد تركت شيئـًا منسوبـًا إليَّ، وعلْم رسول الله صـلىٰ الله عليـه وسـلم بـين أظهـر النـاس [١] وحكىٰ السيوطي في ترجمة علي بن طلحة بـن كـردان النحـوي أنـه كـان متصـوفـًا، صـنف إعراب القرآن ثم غسله قبـل موتـه [٢] وتـأثر بعضـهم بحـديث بعـض كبـار الصـوفية، فـراح يوزع كتبه زهداً بالعلوم الشريعة، مريداً ومفضلاً علم الحقيقـة كمـا هـو معـروف عنـدهم، قال أبو الحسن النحراني، – وكان شديد الإنكار علىٰ الصوفية –دخلت بغـداد وأنـا أكتـب الحديث فرأيت إبراهيم الخواص وحوله جماعـة يـتكلم عليـهم، فسـمعت كلامـه فـدخل قلبي صـدقُ قولـه، فرأيتـه علمـًا صـحيحـًا لابـد للخلـق مـن اسـتعماله، فلزمتـه مـن ذلـك المجلس ولـم أفارقه، وفرقت ما كنت جمعته من الكتب وكانت نحو حملين [٣]

١٤- وراح بعضـهم يشـفق علـىٰ المـؤلفين، قـال أبـو محمـد عبـد الله القطـان "مسـاكين أصـحاب المصـنفات والتـأليف مـا أطـول حسـابهم غـداً، أليس في كتـاب الله وفي حديث رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم" [٤]

١٥- أخيراً قيل: إنّ الشاطبيَّ أتلفَ كتابَهُ الأصول في حياتـه، وقيـل: إنّ لـه كتابـًا عنوانـه الاتفاق في علم الاشتقاق أتلفه أيضاَ وقد يُدفَنُ الكتابُ أحيانـًا إن لـم يـروهِ مؤلفـه ويُدرسه، ففي ترجمة بشر الحافي أنه كـان كثيـرَ الحـديث إلا أنـه لـم يُنصِّـبْ نفسـه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتُبَهُ لأجل ذلك[٥].

---

(١) – طبقات الشعراني ، ١٢٣

(٢) – البغية ، ١٦٣

(٣) – طبقات الشعراني ١٣٩

(٤) – روح القدس ر، لابن عربي ، ٧٧

(٥) – نيل الابتهاج بتطريز الديباج ة، للتنبكتي ١/ ٤٩ والمقاصد ١/ ١١

وأملىٰ بعضُهم كتابَهُ إملاء، وهم كثر، منهم:

أ- الفراءُ، أملىٰ كتابَه معاني القرآن إملاءً في المسجد، كما أملىٰ كتابَه الحدودَ في ستة عشر سنة(١).

ب- ابنُ الأعرابي قال عنه ثعلبٌ: اهدتُ مجلسَ ابنِ الأعرابي وكان يحضره زُهاءَ مائةُ إنسانٍ، وكان يُسألُ ويُقرأ عليه فيجيبُ من غير كتاب، قال: لزمتُه بضعَ عشرةَ سنةً ما رأيت بيده كتاباً قط، وقد أملىٰ علىٰ الناس ما يُحمَلُ علىٰ أحمال(٢).

ج-أبو الحسن الرماني قال فيه ابنُ النديم: "أكثرُ ما يصنفه يُؤخَذُ عنه إملاءً"(٣)

د- محمد حمد بن بشار أبو بكر الأنباري، قال عنه ابنُ النديم: أكثرُ ما كان يمليه من غير دفترٍ ولا كتاب. (٤)

هـ- أبو عمر محمدُ بنُ عبدِ الرحمن الزاهدُ غلامُ ثعلبٍ قال عنه الأنباري: "ومن الرواةِ الذينَ لم يُر قط أحفظُ منهم أبو عمر الزاهد أملىٰ من حفظه ثلاثين ألفَ ورقةٍ"(٥).

و- ابنُ دريد صاحبُ معجمِ الجمهرة أملاه ببغدادَ وفارسَ من حفظه (١)، وقد ذكرنا في محاضرة لنا عنوانُها" مهارة الحفظ في التراث اللغوي" الكثيرَ من العلماء الذين اشتُهروا بالحفظ، واقتصرنا هنا علىٰ ذكر بعضهم ممن أملىٰ كتابه إملاءً.

---

(١) الفهرست ٩٩

(٢) - الفهرست ١٠٢

(٣) - الفهرست ٩٤

(٤) - الفهرست ١١٢

(٥) - نزهة الألبا٢٤٢ وانظر الفهرست ١١٣

ز- ولعل أبرزَ مظهرٍ يدلُّ علىٰ بلوغهم الغايةَ في فن التصنيفِ والتأليفِ هو أن الواحدَ منهم كانت لديه القدرةُ علىٰ تأليفِ رسالةٍ أو كتابٍ في ليلةٍ واحدةٍ، وقد اشتُهر ذلك بمؤلفاتِ اليوم والليلة، وأطلقَ عليها النيسابوري صاحبُ البرهان في معاني مشكلات القرآن " الكتبَ اليوميةَ" يريدُ بها المؤلفاتِ التي ألفَها أصحابُها في يوم واحد، قال عن كتاب خلق الإنسان ما نصه، وقد كنا صنفنا في الرد عليهم، -أي علىٰ الباطنية -وذكرِ أحكامِهم في الشرع، كتاباً مبسوطاً، وهو من الكتب اليومية التي صنفناه في يومٍ واحد من وقت استواء الشمس في كبد السماء إلىٰ مثله من الغد (٢) وقد عثرتُ علىٰ عدد من المؤلفات التي أنجزهَا أصحابُهَا في يوم وليلة وهي:

ذكر صاحبُ العقد الثمين في ترجمةِ الفيروز آبادي صاحبِ القاموس المحيط المتوفىٰ سنة تسع وعشرين وسبعمائة هـ، أن له شرحَ الفاتحة ألفَهُ في ليلةٍ واحدة، وله كتابٌ عنوانه" ترقيقُ الأسَلِ في تصفيقِ العَسَل" وهو كراريس ألفَها في ليلة عندما سأله بعضُ الناس عن العسل هل هو قيءُ النحلةِ أو خُرؤها (٣)

---

(١) - الفهرست ٩١

(٢) - خلق الإنسان للنيسابوري ، لوحة ٢٨١ / ب/ مصورة البحث العلمي / جامعة أم القرىٰ تحت رقم ٣٩٥-٣٩٤

(٣) -العقد الثمين ٢/ ٣٩٢

ومما يتصل بهذا الصنيع ويثيرُ الإعجابَ أكثرَ أن الشريفَ عليَّ الجرجاني المتوفىٰ سنة ست عشرة وثمانمائة هـ حصَّلَ حاشيةَ شرحِ الشمسيةِ حالَ قراءتِه هذا الشرحَ علىٰ شيخه(١) فوضعَ حاشيةً علىٰ هذا الشرح حال قراءته متن الشمسية.

ولا نود أن ننهي هذا المظهرَ في فن تأليف الكتب قبل أن نعرضَ ما ذكرهُ ابنُ القيم عن ابنِ تيمية الذي بوركَ له في وقته، قال ابنُ القيم: لقد شاهدتُ ابنَ تيميةَ في سَنَنِه وكلامِه وإقدامِه وكتابِه امرأً عجيباً فكان يكتبُ في اليوم من التصنيفِ ما يكتبه الناسخُ في جمعةٍ وأكثرَ، وقد شاهد العسكرُ من قوته في الحربِ أمراً عظيماً (٢)

وإذا تركنا تأليفَ الكتبِ- وهو جوهرُ موضوعنا - والتفتنا إلىٰ الشعراء- استطراداً واستراحاً- لوجدنا هذه الظاهرةَ أيضاً عندهم واضحةً فقد ذكر السيوطي عن أبي العتاهيةِ قولَهُ: لو شئتُ أن أقولَ في الليلة ألفَ بيتٍ لقلتُ (٣)

ولا تعجبنَّ من ذلك فقد ذكر السيوطي أيضاً في ترجمة أبي بكر بن علي المتوفىٰ سنة تسع وستين وسبعمائة هـ أنه كان شاعراً فصيحاً بليغاً لو أراد أن يكون كلامُهُ كلُّهُ شعراً لفعل(٤).

---

(١) - البدر الطالع ١/ ٤٨٨ والشمسية كتاب في المنطق ألفه نجم الدين عمر بن علي القزويني المعروف بالكاتبي توفي سنة ٦٧٥هـ، وهو تلميذ نصير الدين الطوسي ، وشيخه لم يذكر الشوكاني اسمه ، وأرشده إليه شيخه القطب الشيرازي حين اعتذر عن إقرائه الشمسية لضعف نظره وعلو سنه .

(٢) الأنيس ١/ ٢٢٩

(٣) البغية ٢/ ٢٣٦ تحقيق علي عمر .

(٤) البغية ١/ ٤٥٢ تحقيق علي عمر .

وهناك طائفةٌ من العلماء لم يلتفتوا إلىٰ صناعة الكتب وتأليفِها فراحوا يذمونها مفضلين الحفظَ عليها، قال الشاعرُ:

عليكَ بالحفظِ دونَ الجمعِ في كتبٍ فإنَّ للكُتْبِ آفاتٍ تُفرِّقُها
الماءُ يُغرِقُها والنارُ تَحرِقُها والفأرُ يَخرُقُها واللصُّ يَسْرِقُها (١)

ومما يجب أن يعلمَهُ طالبُ العلمِ أن للكتب أصولاًوفروعاً فعليه أن يُلِمَّ بهذه الأصولِ والفروع، فكتابُ سيبويه يُعدُّ أصلاً فروعُه الشروحُ التي خدمته، وجمل الزجاجي أصلٌ فروعُه شروحُه، والايضاحُ للفارسي أصلٌ فروعُه شروحُه، واللمعُ لابن جني أصلٌ فروعُه شروحُه، والمفَّصلُ للزمخشري أصلٌ فروعُه شروحُه، والكافية والشافية لابن الحاجب أصلان أولهما في النحو، والثاني في الصرف فروعُهما شروحُهما، والجزولية أصلٌ فروعُها شروحُها وحواشيها، وتسهيلُ ابن مالك وألفيتُه أصلان، فروعُهما تلك الشروح والحواشي التي قامت عليهما، والمغني أصلٌ وشروحُه وحواشيه فرعٌ، وعلىٰ الباحث إذا كان يبحثُ عن مسألة نحوية ذكرها الزمخشري في كتابه المفصل، ألا ينتقلَ إلىٰ شروح الألفية مثلاً، قبل الطواف بشروحِ المفصل، فالانتقالُ من عائلة إلىٰ أخرىٰ يلزمُه المرورُ علىٰ كل أفراد العائلة، وبعد ذلك ينتقلُ إلىٰ عائلة أخرىٰ.

---

(١) القرعبلانة في فن الصرف ٤٦

أنواع المؤلفات وأشكالُها

عقد ابن سيده فصلاً في كتابه المخصص سرد فيه الألفاظَ التي تستعملُ في ميدان التأليف، اطلعت عليها بعد أن كنتُ قد رجعتُ إلىٰ المصادر اللغوية لتعريفها، واقتصرت الآن علىٰ ذكر ماكنت قد جمعته حولها، وهي:

١- الدستور: رَّفه الفيروز آباديُّ بقوله: لدستور بالضم النسخةُ المعمولةُ للجماعاتِ التي منها تحريرُها، معرَّبةٌ جمعُها دساتير [١] فكأنها المُسودّةُ، و ما ذكره الفيروز آبادي يُستفادُ أيضـاً مما ذكره ابنُ النديم عن كتاب فلسفة البلْخي قال: رأيت بخطه شيئـاً كثيراً في علومٍ كثيرةٍ مسودَّاتٍ ودساتيرَ لم يَخرجْ منها إلىٰ الناس كتابٌ تامٌّ، [٢]وفي ترجمة أبي بكر الصولي ذكر أيضـاً أن كتابه المشهورَ" الأوراقُ في أخبار الخلفاء والشعراء" عولَ عند تأليفِه علىٰ كتابِ المريدي في الشعر والشعراء بل نقله نقلاً وانتحلَه، وقد رأيت دستورَ الرجل في خزانةِ الصولي فافتُضِحَ به[٣]فهذان الخبران يؤكدان أن الدستورَ هو المسودّةُ، ولعلها الأخيرةُ، أما إطلاقُه الآن علىٰ القوانين التي تحكمُ البلدَ وتنظمُ شؤونه، فهو المعنىٰ الأخيرُ له، وفيه فائدة لأنه إذا كان بمنزلة المسودَّاتِ إذن هو يمكنُ تعديلَه وتغييره، وهو ما نراه في حياتنا الحاضرة في بعض الدول. إذ يقومون بتعديل الدستور، فكأنه مسودة وهو المعنىٰ المعجمي له.

---

(١) – القاموس المحيط ، دسر

(٢) – الفهرست ، ٤١٦

(٣) – الفهرست ٢١٥

٢- الدفتر: عله الجوهري نظيرَ الكُراسةِ قال: الدفتر واحد الدفاتر، وهي الكراريس [١] وقال عنه العسكري: الدفترُ لا يكون إلا أوراقًا مجموعةً – كما ذكرنا- [٢]أما الفيروز آبادي فعنده أن الدفترَ نظيرُ الصحيفة، و يجوز فيه الكسر، وهي جماعةُ الصحفِ المضمومةِ [٣]وأكد الزَّبيديُّ ذلك وأضاف أنه يطلق أيضـًا علىٰ جريدة الحساب [٤]

أما المعجم الوجيز فالدفتر هو الكُراسةُ، وأشار أصحابُهُ إلىٰ التطور الذي أصابه إذ صار يُطلق" الدفتر دار" علىٰ الموظفِ المالي المكلفِ بتنظيمِ الوارد والمنصرفِ من أموال الحكومة [٥]

٣- الرسالة: هي في الأصل مايرسل وتطلق علىٰ الخطاب المرسل إلىٰ فرد أو جماعة كما تطلق علىٰ الكتاب المشتمل علىٰ قليل من المسائل تكون في موضوع واحد، وصارت أخيراً تطلق علىٰ البحث المبتكر الذي يقدمه الطالب الجامعي لنيل شهادة عالية [٦] والذي يعنينا من هذه المعاني هو أن الرسالة تطلق علىٰ الكتاب المشتمل علىٰ قليل من المسائل تكون في موضوع واحد، أو تشتمل علىٰ عدة فنون، فهذا المعنىٰ يتفق كثيراً مع ما ذكره ابن النديم وهو يتحدث عن مؤلفات العلماء، ففي ترجمة الهرير بن الصريح قال: إنّه كان

---

(١) – الصحاح ، دفتر

(٢) – الفروق اللغوية ٢٩١

(٣) – القاموس المحيط ، دفتر

(٤) – تاج العروس ، دفتر

(٥) – المعجم الوجيز ، د فتر

(٦) – المعجم الوجيز أرسل

فصيحاً وله كتاب رسائل، قال عنها ابن النديم رأيته نحوَ مئةِ ورقةٍ [١]. وفي ترجمة عبد الحكيم الكاتب قال: إنّ رسائلَه مجموعةٌ في نحو ألف ورقة [٢]، وأن رسائلَ نطاحةَ تحتوي علىٰ كل شيء حسنٍ في نحو ألف ورقة [٣]، فقوله: إن هذه الرسائل مجموعةٌ، يؤكد أنهم أرادوا من الرسالة أن تكون قليلةً، ولعل ما يؤكد ذلك أيضاً أنه في ترجمة محمد بن هُبيرةَ الأسديِّ، ذكر أن له من الكتب رسالةً إلىٰ عبد الله بن المعتز فيما أنكرته العربُ علىٰ أبي عبيد القاسمِ بن سلام ووافقته فيه، ورسالةً في الخط وما يُستعمَلُ في البرْي والنقْدِ [٤]، فمن البداهة أن هذه الرسائلَ لن تكون كبيرةَ الحجمِ، ومن ذلك ما ذكره عن ابن التستري سعيد بن إبراهيم أن له كتاباً جمع فيه رسائلَه وهي رسائلُ في كل فن [٥]، فيبدو أن هذه الرسائلَ كانت متفرقةً صغيرةَ الأحجامِ في عددٍ من الفنون، جمعَها في كتاب، والخلاصةُ أن الأصلَ في الرسالة أن تكون أوراقُها قليلةً تختص بموضوعٍ واحدٍ ثم صارت تُطلقُ علىٰ ما حجمُها كبيرٌ سواءً أكانت في فن معين، كرسالة الشافعي فهي تقع في سبعمائة وثمان وثمانين صفحة حققها الشيخ أحمد شاكر، ومضمونُها هو في أصول الفقة، أم كانت في فنونٍ متعددةٍ كرسائل ابنِ التستري المتنوعةِ الفنونِ، تلك التي جمعَها في كتاب واحد كما ذكر ابنُ النديم، ومن المفيد أن نذكرَ الرسائلَ العلميةَ (الماجستير والدكتوراه)

---

(١) -الفهرست ١٧٣أ وانظر ١٧١

(٢) - الفهرست ١٧٠

(٣) - الفهرست أ ابن النديم ١٨٠

(٤) - الفهرست ١١٠/ ١١١

(٥) -الفهرست ١٩٣

سواء أكانت أحجامُها قليلةً أم كبيرةً نُطلِقُ علىٰ الواحدة منها رسالةً مهما كان حجمها صغيراً أم كبيراً.

٤- الصحيفة: ي في الأصل قطعةٌ من جِلْدٍ أو قِرطاس كما يقول الفيومي كُتِبَ فيه، والنسب إليه صَحَفي بفتحتين، والجمع صُحُفٌ وصحائفُ [١] ووصفَ ابنُ النديم صُحفَ آدمَ بأنها كتابٌ، وهو يتألف من صحائف، قال ابن النديم: ولُ كتاب أنزله جَلَّ اسمُه صحفُ آدم عليه السلام وهي إحدىٰ وعشرون صحيفة، [٢]وأشار إلىٰ نحو ذلك ابن سيده أيضـاً بقوله عن صحف إبراهيم وموسىٰ بأنها الكتبُ المنزلةُ عليهما [٣] وعين العسكري وهو بصدد تفريقه بين الدفتر والصحيفة حجمَ كلٍّ منهما قال: والصحيفةُ تكون ورقةً واحدةً، أما الدفترُ فلا يكون إلا أوراقـاً مجموعة [٤]وفي عصرنا الحاضر صارتْ تُطلَقُ علىٰ مجموعةٍ من الصفحاتِ تَصدُرُ يوميـاً أو في مواعيد منتظمة بأخبار سياسية وغيرها [٥]

٥- الطُّرَّة: هي في الأصل: لناصيةُ ثم أطلقوها علىٰ أول الكتاب وتسمىٰ: لطُّغْراءَ: هي العلامةُ التي ترسم الآن علىٰ النشرات والمسكوكات الحكومية، والعامةُ تسميها (طُرَّة)[٦]

---

(١) - المصباح المنير صحف ، وانظر المخصص، ١٣/ ٧والمعجم الوجيز صحف

(٢) - الفهرست ، ٣٣

(٣) - المخصص، ١٣/ ٧

(٤) - الفروق اللغوية ٢٩١

(٥) - المعجم الوجيز ، صحف

(٦) - المعجم الوجيز ، طرر

٦- الطِّرسُ: لصحيفة، ويقال: ي التي مُحيت ثم كُتبت وكذا الطَّلَس، والجمع أطراسٌ وطروسٌ، مثلُ حِمل وأحمال وحُمول [١]

٧- القرطاس: ثلثةُ القاف، وكسر القاف هو الأشهر، والقَرْطَسُ وزانُ جَعفر، والقِرْطَس وزان درهم أيضـاً [٢]، والأخيرتان لغتان فيه عن اللحياني [٣]، كلها: لصحيفةُ الثابتةُ التي يُكتَبُ فيها، ، قال تعالىٰ" ولو نزلنا عليك كتابا في قِرطاس" أي في صحيفة، وقال أيضـاً" يجعلونه في قراطيسَ" أي صُحُفـاً، ويجمع أيضـاً علىٰ قراطس، وهوأعجمي معرب قالوا: إنّ أصل هذه الصحيفةِ التي يُكتَبُ عليها أنها ضربٌ من بَرديٍّ مصرَ، وقيل: ي الكاغِدُ [٤]

٨- الكتاب: مصدر كتب يكتُبُ ثم سُمِّيَ المكتوبُ فيه كتابـاً، كاللباس بمعنىٰ الملبوس، وقيل: إنّ الكتابَ: والاسم ، والمصدركتابة [٥] وقد سُمي الكتابُ كتابا لأنه كالكتيبة، إذ سُميتْ كتيبةً لاجتماعها [٦] وقالوا: الكَتْبُ هو ضم أديم إلىٰ أديم بالخياطة، [٧]، وصار يطلق علىٰ كل مضموم لفظـاً أو خطـاً كتابٌ ، ولهذا عرَّفه أصحابُ المعجم الوجيز بأنه: صُحفٌ ضُمَّ بعضُها إلىٰ بعض، و أُطلقَ علىٰ القرآن الكريم والإنجيل والتوراة،

---

(١) – المصباح المنير ، طرس ، يقال :طلس الكتاب إذا محاه ، مختار الصحاح ، طلس

(٢) – انظر لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير ، قرطس

(٣) – اللسان ، قرطس

(٤) – اللسان والقاموس المحيط ، قرطس

(٥) – المخصص ١٣/ ٤والمفردات ٤٢٣

-(٦) روح االمعاني ١/ ١٠٦

(٧) – المفردات ٤٢٣

وبينوا أن معناه قد تطور فصار يُطلقُ علىٰ الرسالة ـأي البريدية- كما صار علمـًا بالغلبة والشهرة علىٰ كتاب سيبويه[1]

والحق أن لفظةَ الكتاب الآن تعدُّ هي الأكثرَ شيوعـًا واستعمالاً.

٩- الكُرَّاسة: هي واحدة الكُرَّاس، وتجمعُ علىٰ كراريس (٢)، والناظرُ في معاني هذه المادةِ في المعجمات اللغوية يلحظ أنها تفيدُ التراكمَ والازدحامَ، قال ابن سيده: سميت كراسةً لتكرُّ سِهَا أي انضمامِ بعضِها إلىٰ بعض (٣) وقال ابنُ منظور نقلاً عن ابن الأعرابي" كَرِسَ الرجلُ إذا ازدحمَ علمُه في قلبه، والكُراسةُ من الكتب، سميت بذلك لتكرُّسِها (٤) أي لتجمُّعِها.

١٠- وقيدها الفيروز آبادي بأنها الجزءُ من الصحيفة (٥) فكأني به يذهب إلىٰ أن الصحيفةَ أكبرُ من الكراسة، وتبعه في ذلك أصحابُ المعجم الوجيز، فالكراسةُ عندهم هي الجزءُ من الكتاب، يقال: رأت كراسةً من كتاب كذا، وأضافوا إلىٰ ذلك فقالوا: تُطلَقُ علىٰ إضمامةٍ من الورق تُهيأ للكتابة فيها (٦) وذكر السيوطي في مقدمة كتابه بغية الوعاة ما يدلنا علىٰ مقدار الكراسة في عصره، قال: وقفتُ علىٰ طبقات النحاة البصريين لأبي سعيد السيرافي فإذا هي كُراسان، ثم علىٰ كتاب مراتب النحويين لأبي الطيب فإذا هو أربعُ كراريسَ،

---

(١) - المعجم الوجيز ، كتب

(٢) \- الصحاح أوالقاموس المحيط وتاج العروس أكَرسَ

(٣)- المخصص ١٣/ ٨

(٤) -اللسان أكَرسَ

(٥) - القاموس المحيط أكَرسَ

(٦) المعجم الوجيز أكَرِسَ

فلو أجرينا موازنةً بين هذين الكتابين المطبوعين مع هذا الوصف لاستطعنا أن نحدد مايراد من الكراس، فكتاب مراتب النحويين عدد صفحاته الآن ١٦٢ صفحة، وإذا كان هذا الرقمُ يعدل عند السيوطي أربعَ كراريس فالكراس إذن (خمس وثلاثون ورقةً)-٣٥ ورقة - تقريباً، والحق أن تحديدَ المراد بالكراسة بدقة وكذا المجلد والجزء وكلذِ ما يتعلق بهذه الألفاظ يلزمُه تتبعٌ تاريخي للوقوف علىٰ أحجامها بدقة، وما أذكره هو للتقريب فقط، وأضاف السيوطي في المقدمة أنه وقفَ علىٰ طبقات النحاة للزُّبيدي فإذا هو جزءٌ، وعلىٰ البلغة للفيروز آبادي فإذا هو جزء أيضاً(١).

١١- المجلة: كرها الفيروز آبادي بقوله: لمجلةُ بالفتح الصحيفةُ فيها الحكمةُ، وكلُّ كتابٍ (٢)وأشار البغدادي إلىٰ نحو ذلك بقوله: لُّ كتابٍ جمع حكمةً، وأمثالاً فهو عند العرب مجلةٌ (٣) وألمحَ أصحابُ المعجم الوجيز إلىٰ التطور الدلالي الذي أصابَ لفظةَ المجلة، فبعد أن نصوا علىٰ أن المجلةَ هي الكتاب والصحيفة التي تجمعُ طرائفَ المعرفةِ قالوا: تقال في عصرنا هذا لكل صحيفة عامةٍ أو متخصصةٍ في فن من الفنونِ تظهر في أوقات معينة، بخلاف الصحف اليومية، تُجمع علىٰ مجالٍّ ومجَلّات (٤).

---

(١) - بغية الوعاة المقدمة

(٢) - القاموس المحيط ، جلل

(٣) - الخزانة ٢/ ١١وانظر الأشباه والنظائر ، للسيوطي ٤/ ٣٣٤(الحاشية)

(٤) - المعجم الوجيز ، جلل

١٢- المجلّد: لكتاب ذو الجلدة (١)والظاهرُ أنه مختصٌّ بما هو مجلد سواء أكان حجمُه كبيراً أم صغيراً، فقد ذكر الأنباري في ترجمته لأبي محمد اليزيدي أن المجلد هو عشر ورقات (٢)ونقل الشيخ يوسف النبهاني عن الزَّبيدي قولَه: إنّ أطول ما رأيت كتاب تنبيه الأيام للشيخ عبد الجليل بن محمد بن عظوم القيرواني في مجلد حافل، أبدع فيه وأغرب (٣)، فقد وصفه بأنه "أطول ما رأىٰ" من الكتب ثم قال هو في مجلد حافل، أي في مجلد واحد، وهذا يفيد أن المجلدَ كان في مرحلة من مراحل سيرته التاريخية يُطلقُ علىٰ ما كان صغيراً أ وكبيراً أي يُطلَقُ علىٰ كل ما هو قد جُلِّد من غير نظرٍ إلىٰ حجمه. أما الآن فنطلقه علىٰ الجزء المجلَّد من الكتاب الكبير فنقول عن كتاب ذي أجزاء كثيرة: وفي مجلدات كثيرة كما نقول عن كتاب واحد صغير هو في مجلد واحد نريد أنه مجلدٌ تجليداً إما عربيـًا بلا زخارفَ وإما إفرنجيـًا بزخارفَ مذهبة.

---

(١) - المعجم الوجيز ، جلد

(٢) - نزهة الألبا٧٤

(٣) - سعادة الدارين ، ٤

من نتائج هذا البحث

١- أن صناعةَ الكتابِ هي ضربٌ من البحث العلمي – لأن البحثَ العلميَّ هو كل دراسةٍ مبنية علىٰ تقصٍّ وتتبعٍ لموضوع معين ، وفق منهجٍ خاص لتحقيق هدف معين من إضافةٍ جديدة أو جمعٍ متفرق أو ترتيبٍ مختلف أو غير ذلك، ولا شك أن مؤلفات علمائنا لم تخلُ من أي وصف أو شرط شرطه المهتمون بمفاهيم البحث العلمي (١)وبان لنا أن تأليفَ الكتب عندهم هو صنعةٌ لها أسسُها وطرقُها ووسائلُها ولها أهدافٌ وأغراض.

٢- أولتِ العربُ فنَّ التأليف أهميةً واضحةً تتضحُ من تلك المؤلفاتِ التي تتعلقُ بهذا الفن، ومن أبرزها الفهرست لابن النديم، وصبح الأعشىٰ للقلقشندي، كما تتضحُ مما ذكره أصحابُ التراجِم حين تحدثوا عن مؤلفات المترجَم له

٣- يعد البحثُ العلميُّ المتمثلُ في صناعة الكتاب صورةً مشرقةً من صور الحركة العلمية التراثية

٤- – لم يترك أصحابُ هذا الفنِّ شيئًا يتعلق بالكتابِ إلا تحدثوا عنه ووصفوه، وذلك من حين نيةِ المؤلفِ إنشاءَ الكتابِ إلىٰ حين الانتهاءِ منه

٥- اهتم المؤلفون بعناوين كتبِهم، وقد ظهرَ اهتمامُهم في اختلافِ نوعِ العناوين فبعضُهم راعىٰ حجمَ الكتاب، وبعضٌ راعىٰ مادةَ الكتاب وبعضٌ فطن إلىٰ مكان تأليفه،

---

(١) – البحث العلمي ، للدكتور عبد العزيز الربيعة ، ٢٥

وتشابهتْ العناوينُ عندهم نتيجة تقليد بعضهم، وغلبَ علىٰ التأخرين الميلُ نحو العناوين المسجوعةِ، وظهرَ لبعضِ الكتبِ عنوانان.

٤- ، قام المؤلفون بترتيب كتبهم داخلياً، وجاء الترتيبُ متفقاً مع مضمون الكتاب ، وصنع بعضُهم فهارس لمحتواه،

٥- تنوعت أشكال التأليف بين رسالة أو كراسة أو كتاب أو مجلد...إلخ وظهرت أنواع من المؤلفات كمؤلفات اليوم والليلة، والكناشات.

٦- كان للتطور الدلالي أثرٌ واضحٌ في بعض الألفاظ التي تُستعمل في هذا الفن، ككلمةِ الدستور والمجلةِ والمجلد والكتاب، وبعض هذه الألفاظ أعجمية كالدستور والدفتر والكناش. وبعضها ذكر في القرآن الكريم كالقرطاس والصحف.

٧- سلك المؤلفون طرقاً متعددةً في تأليف مؤلفاتِهم، فبعضُهم أملىٰ كتابَهُ إملاءً، واختلفتْ أحياناً أوقاتُ الإملاء، وأماكنُه، وبعضُهم كتبَ مؤلَّفَه بخط يده ثم دفعَ به إلىٰ الوراقين والنساخين الذين كان لبعضهم أثرٌ في صنع الكتاب، وبعضهم رغِبَ عن التأليف وفضَّل الحفظَ عليه بل ذمَّه.

٨- كثرتْ ظاهرةُ الابتداءِ بتأليفِ الكتاب وعدمِ إتمامه، إما بسببِ الموتِ ، وإما لسعةِ علومهم، وإما بسبب عوائق اجتماعية لم نقف عليها ، وبعض المصنفات أكملها أولاد المؤلفين أو تلامذتهم.

٩- لم يترك أصحابُ التراجم ما قيل في بعض الكتب التي وقعَ فيها شك، سواءٌ في نسبتها إلىٰ مؤلفها أم شك في أن صاحبَها أخذها من غيره ونسبها لنفسه، فكانوا

منصفين في أحكامهم علىٰ ما يعتري فنَّ التأليف من عوارضَ تؤثر في أصالة الكتاب وصاحبه.

١٠- غلبَ علىٰ كثير من المؤلفين أن يصنعوا أو يُهدُوا كتُبَهم للولاة أو للقضاة ، ووجدنا أن بعضَهم اندفعَ نحو التأليف تلبية لرغبة نفسية أو لمذاهب دينية.

١١- بعض المؤلفين بيعت كتبُه أو سُرقتْ أو أحرقتْ أو أتلفها بنفسه

١٢- وبعض المؤلفين نسي مضامين كتابه ومحتواه، وبعضهم نسي أسماء مؤلفاته الكثيرة.

١٣- امتلأت كتبُ التراجمِ بذكر طرائفَ حصلت للمؤلفين وللكتب أيضاً، تسرُّ المرءَ، وتوقفُه علىٰ فهم شخصية المترجَمِ له.

١٤- وأخيراً لله در من قال:

١٥- وما من كاتبٍ إلا وتبقىٰ**كتابتُه وإن فنيتْ يداه

١٦- فلا تكتبْ بخطكَ غيرَ شيءٍ**يسرُّكَ في القيامةِ أن تراه

١٧- أسأل الله العظيم أن ينفعَ بما قدمناه طلابَ العلم، وأن يجعلنا من المخلصين له، ليكون لنا صدقة جاريةً، وإلىٰ أسعد لقاء أيها الأحباب.

المصادر والمراجع

١- أسماء الكعبة المشرفة في الدرس اللغوي ومعه بركة مكة المكرمة على التأليف اللغوي، لرياض الخوام، المكتبة المكية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م

٢- ٢-الأشباه والنظائر، للسيوطي، تحقيق أحمد مختار الشريف، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

٣-الأنيس في الوحدة، للشيخ محمد أديب كلكل نشر مكتبة دار الدعوة، حماة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩م.

٤- إبراز المعاني لأبي شامة، تحقيق: إبراهيم عوض، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ١٤٠٢هـ.

٥- إحياء علوم الدين، للغزالي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م

٦- البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه تأليف الدكتور عبد العزيز الربيعة، موقع الألوكة، الطبعة الثالثة ة، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م

٧-البدر الطالع للشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٨-البسيط، لابن أبي الربيع، تحقيق الدكتور عياد الثبيتي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٩- بغية الوعاة، للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، لبنان، وطبعة أخرى بتحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط١، ١٣٢٦هـ -٢٠٠٥م

١٠- التبيان، للعكبري، تحقيق علي محمد البجاوي، البابي الحلبي.

١١- ترتيب العلوم، لساجقلي زادة، تحقيق محمد بن إسماعيل السيد، دار البشائر الإسلامية، لبنان الطبعة الأولىٰ، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م

١٢- توثيق النصوص وضبطها عند المحدثين، للدكتور موفق عبد القادر، المكتبة المكية والبغدادية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٠م.

١٣- تاج العروس، للزبيدي، الطبعة الأولىٰ، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ

١٤- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٩هـ.

١٥- ١٤-جامع كرامات الأولياء، للنبهاني، المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان، ١٤١١هـ- ١٩٩١م

١٦- خزانة الأدب، للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م

١٧- الخصائص، لابن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.

١٨- رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد عامر، نشر مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨مأ-

١٩- روح القدس في محاسبة النفس، للشيخ محيي الدين ابن عربي، مكتبة الدروبي، دمشق

٢٠- شذرات الذهب، لابن العماد، تحقيق مصطفىٰ عبد القادر، توزيع عباس الباز، مكة المكرمة

٢١- شرح قواعد الإعراب، للكافيجي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، دار طلاس للنشر، ط٢، ١٩٩٣م

٢٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت

٢٣- الطلاء الرخيم علىٰ العقد الوسيم، لأحمد الشمط الأهنومي، تحقيق رياض الخوام، مكتبة الرشد، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

٢٤- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي منشورات البحث العلمي جامعة أم القرىٰ

٢٥- العقد الوسيم للأخفش اليمني، تحقيق الدكتور رياض الخوام، المكتبة العصرية، لبنان

٢٦- -عمدة القاري، للعيني، البابي الحلبي، الطبعة الأولىٰ، ١٣٩٢هـ -١٩٧٢م

٢٧- غالية المواعظ، للألوسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان

٢٨- الفروق اللغوية، للعسكري، تحقيق محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة

٢٩- فضائل مكة والسكن فيها، للحسن البصري، تحقيق الدكتور سامي العاني، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

٣٠- الفهرست لابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان

٣١- القرعبلانة في الصرف، للدكتور عبد العزيز الحربي، دار ابن حزم، ط١، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠٢٢م

٣٢- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، الطبعة الثانية، البابي الحلبي، ١٣١٧هـ ـ ١٩٥٢م

٣٣- كشف الظنون، لحاجي خليفة، عناية محمد شرف الدين يلتقايا، ورفعت بيلكة الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

٣٤- لسان العرب لابن منظور، تحقيق: عبد الله علي، الكبير وزملائه، دار المعارف، مصر

٣٥- المخصص لابن سيده، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة.

٣٦- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر، ط١. ١٣٩هـ ١٩٧٤م

٣٧- المزهر، للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولىٰ، وزملائه، مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وأولاده

٣٨- المستطرف، للأبشيهي تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، لبنان

٣٩- المصباح المنير للفيومي، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

٤٠- المصادر العربية، لمحمد ماهر حمادة الطبعة السادسة، مكتبة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤١- المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المركز العربي للثقافة والعلوم، لبنان.

٤٢- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، لعبد الله العقيل، دار البشير، الطبعة السابعة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٤٣- نزهة الألباء للأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٤٤- نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي تحقيق عبد الحميد الهرامة الطبعة الأولىٰ كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٣٩٨هـ- ١٩٨٩م.

المخطوطات والمجلات والمواقع

١- خلق الإنسان للنيسابوري، مصورة البحث العلمي / جامعة أم القرىٰ تحت رقم ٣٩٤.-٣٩٥

٢- القافلة، العدد(٤) لمجلد ٦٤-٢٠١٥م، عنوان المقال" ما الذي يفعله الكتاب للدفاع عن نتاجهم الأدبي، للكاتب رجا الثبيتي موقع ويب إسلام

٣- موقع الألوكة

رابط محاضرة: "من صور البحث العلمي في التراث اللغوي – صنعة الكتاب"

https: / /youtu.be /K٤mnWD_٦٥XQ